اعظم حرب في التاريخ

وكيف مرت حوادثها

هو كتابٌ مدرسيٌّ وُضعَ لطلبة التاريخ الحديث جمع
زبدة حوادث الحرب الكبرى مع مراعاة الانصاف
في سرد الحقائق على اسلوب سهلٍ جذاب
تفهمه العامة وترضى به الخاصة

تأليف

جرجس الخوري المقدسي

منشيء

مجلة المورد الصافى

واستاذ البيان العربي في جامعة بيروت الاميركية

« طبعة ثانية »

المطبعة العلمية — بيروت سنة ١٩٢٧

مقدمة

عندما نشبت الحرب الكونية صيف سنة ١٩١٤ ميلادية شرعت ادوّن حوادثها في مفكرتي وقد كنا يومئذٍ مصيفين في سوق الغرب فانشآتُ هناك وانا جالس تحت صنوبر الرابية العليا تمهيداً لتلك الحوادث فلما وضعت الحرب اوزارها طبعت خلاصة ما دونته عنها في كتاب قرظته آنئذٍ الصحف ونشطني عدد من الادباء والعلماء بذكر حسنات للكتاب — منها

(١) انه مبنيٌّ على اختبارات شخصية ومشاهدات عيانية فهو يعتمد على العقل لا على مجرَّد النقل

(٢) انه خلوٌّ من روح التعصب المذهبي او الجنسي الذي يفسد حقائق التاريخ · فقد وردت فيه الحوادث دون تشيعٍ لفئة دون أخرى

(٣) ان المطالع يقف فيه على علاقات الدول بعضها ببعض من سياسية واقتصادية واجتماعية ويدرك الروابط بين الشرق والغرب

(٤) انه مع اختصاره يمكن للمطالع ان يهتدي به بدون عناء الى زمان ومكان اهم حوادث الحرب الكونية فهو مترابط الاجزاء لغته من السهل الممتنع

فلما نفدت طبعته الاولى تقدمنا الى طبعته الثانية هذه نزفها الى اهل العلم والادب فاضفنا اليها حسناتٍ لم تكن في الطبعة الاولى وذلك — انا جعلنا ورقه افضل وزيناهُ برسوم وصور عدد من مشاهير الرجال الذين رقصوا دوراً مهماً في الحرب الكونية ·

وجردناهُ من خصوصيات كنا اثبتناها في الطبعة الاولى لكي يكون عمومياً · واضفنا اليه خلاصة حوادث الهدنة بين ١١ تشرين الثاني م سنة ١٩١٨ و ١١ تشرين الثاني سنه ١٩٢٧ · اي مجرى حوادث تسع سنوات بمؤتمراتها واضطراباتها وثوراتها وقيام الرجال العظام فيها

فجاء بعونه تعالى كتاباً مفيداً في علم التاريخ الحديث من حيث المادة والعبارة يتفقه به المتأدبون في البيوت والمدارس على انه لا يزال في حاجةٍ الى ملاحظات اهل العلم والفضل لنزيده تحسيناً في المستقبل وقد قدمته لمشتركي مجلة المورد الصافي بدلاً من الجزء الاول من مجلدها الثالث عشر فعسى ان تكون خدمتي هذه مقبولة والله حسبي ونعم الوكيل

جرجس الخوري المقدسي

تمهيد

في صباح يوم من صيف سنة ١٩١٤ م جلستُ تحت صنوبر احدى روابي لبنان وقد اطلّت شمس النهار سلطانة الانوار من الثغرة التي بين جبلَي الكنيسة وصنين فانتعشت الطبيعة واخذت ديوك القرى تصيح وبدأت العصافير تغرّد على الافنان و (زيزان) الحصائد تتغنى بالقصائد

وهبَّت النُسيمات اللطيفة تداعب اوراق الصنوبر فوق راسي فاحدثت هديرًا شبيهاً بهدير الامواج — هي نغماتٌ موسيقية امتزجت بروائح عطرية لله ما اطيبها واحلاها ، وكأنّ الكون اشترك معاً في تلك الساعة بذلك السلام الناتج عن انتصار النور على الظلام

جلست في ذلك المكان امتع الطرف بمحاسن الكون . التفت شرقاً فارى الجبال كاسوار منيعة يعلو احدها الآخر وهي تتداخل مشتبكة بعضها ببعض — والتفت شمالاً فارى الاودية والرواسي كانها زاحفة نحو البحر تريد مهاجمته فيحدجها بعينه الزرقاء فتقف لا تتعدّى حدودها — والى الجنوب آكام بني تنوخ وهي اشبه بحرّاس تراقب ذلك الشاطيء وامامها الخلجان الجميلة تحضن قوارب الصيد الناشرة اشرعتها الطالبة رزقها — والى الغرب الاغوار والانجاد المزدانة بالاخضرار فغابة الزيتون الكبيرة فالبساتين والحدائق الغنّاء ينساب بينها مجرى النهر فالرمال الحمراء فبيروت الجميلة فالبحر المتسع الجوانب الممتد الاطراف

سورية ولبنان قد تغنى بهما شعراء الازمان . هما مهبط الوحي والالهامات . جمالهما لا تخلق جدته . ما اطيب هواءها . ما انقى ماءها . ما اصفى سماءها – « لبنان ومن معانيه الطيب الرائحة مشتقٌ من اللبان اي البخور » مؤلف من سلسلتين غربية وشرقية تمتدان الى جهة واحدة على محاذاة البحر طولهما واحد على التقريب يفصلهما سهلٌ خصيب

اما لبنان الغربي فهو اعمر بقاع سوريه اليوم والبقعة الواقعة تحت نظرنا الان هي اعمر بقعةٍ فيه . فهي ضمن السور الطبيعي المكون من جبال جزين والباروك والكنيسة وصنين وبين الشاطىء الممتد من طرابلس الى ما وراء صيدا . ففي هذه المنطقة ترى القرى والدساكر الجميلة متصلة منحدرةً من اعالي الجبال حتى تبلغ البحر المتوسط بعضها فوق التلال وبعضها في بطون الاودية وبعضها في السهل بين الحدائق والاحراج فتصبح هذه الحضارة مع بيروت كانها مدينة واحدة تضم نحو نصف مليون من السكان

حالة هذه البقعة علمياً واجتماعياً

حظيت هذه المنطقة بمئات من المدارس بين ابتدائية وعالية وكلية يؤمها الطلبة من جهات متعددة وللوطنيين شغفٌ شديد في التعلم . فان اللبناني قد يبيع ما ملكت يداه رغبةً في تعليم بنيه وبناته

والمدارس المنتشرة في هذه البقعة بعضها وطنية وهو العدد القليل منها والباقي مدارس اجنبية مدارس افرنسية وامركية وانكليزية وروسية والمانية وتليانية وغير ذلك على ان تعدد المذاهب مع اختلاف التربيات كل ذلك زاد في طنبور الاختلافات نغمات

موارد هذه البقعة

تُقدّر مساحة لبنان الغربي بنحو « (٣٢٠٠) كيلو متر مربع ومساحة اراضيه الزراعية بين جيدة التربة ورديئتها بنحو (٣٠٠) كيلو متر مربع ويقدر سكانه باربع مئة الف فيكون معدل سكانه بالنسبة الى كامل مساحته نحو ١٢٥ في الكيلو متر المربع وبالنسبة الى اراضيه الزراعية نحو (١٣٠٠) نفس في الكيلو متر المربع »

والخلاصة ان الزراعة في لبنان محدودة ومثلها الصناعة والتجارة والامارة فان هذه المعايش لا تقوم الا بجزء يسير من نفقات سكان لبنان ولذلك اعتمد اللبنانيون على موردين آخرين وهما المهاجرة والاصطياف ، اما فكرة المهاجرة فبدأت منذ نحو خمسين سنة وما زالت تتزايد حتى اصبحت سيلاً جرف نحو ثلث السكان الى بلاد المهجر — رجال القوّة في بلاد الغربة يجاهدون ويكدحون في جمع المال للانفاق على الاهل والعيال الباقين في هذا الجبل الجميل

اما مسئلة الاصطياف فلا تزال في المهد واساسها انما هو المهاجرة لان بعض الذين نجحوا في اميركا رجعوا وبنوا هذه القصور التي نراها اليوم قائمةً على هذه الروابي والتلال . ووجود هذه البنايات الجميلة وجه افكار بعض الموسرين من سواحل سوريا ومصر الى قضاء شهور الحر في لبنان متمتعين بالمناظر الحسنة وبالهواء الطيب وبالماء الزلال وبوارف الاظلال

مزية خصوصية للبنان

وفضلاً عن جمال مناظر هذا الجبل وطيب هوائه وعذوبة مائه فان فيه مزية تندر في غيره من البلدان . ألا وهي الامن الضارب اطنابه في

ربوعه الذي تحسده عليه الولايات المجاورة . فان اللبناني ياكل من اثماره ويستظل بظل اشجاره بسلام . بقرته وعنزته ونعجته تنام في البرية آمنة . ثيابه ونحاسه ومسطاحه كل ذلك يبقى في العراء دون مناظر ولا رقيب . لا ضرائب ولا مزعجات بفضل امتيازات الجبل المكفولة من قبل دول اوروبا . كل هذه الامور تزيد الرغبة في قضاء الصيف في لبنان لانها من دواعي الراحة والاطمئنان

احلام جميلة

على ان جلوسي في ذلك المكان امتع الطرف بذلك المنظر الفتان نقلني من الزمن الحاضر الى سالف الايام . فذكرت عز الفينيقين القدماء يوم كان شاطئهم هذا محط رحال المدنية والحضارة . يوم كانت مدنه من جزيرة ارواد الى صور مكتظة بالسكان تجارتها غامرة واسواقها عامرة — يوم كان اهله سادة البحار بلا منازع فتسبح الجواري امامه ذهابا وايابا حاملة منه واليه نفائس الصادرات والواردات كحرير صور وذهب اوفير وغنى ترشيش

ناجيت النفس قائلاً ما المانع يا ترى من رجوع الشاطيء الفينيقي الى مجده القديم فيعود اليه من اطراف المعمور بنوه الذين هجروه . فيبنون السدود في وجه الانهار المتفجرة من جوف لبنان فتتكون هنالك البحيرات الجميلة وتتحول (الشلالات) الى مجار كهربائية فيستنير الناس بنورها ويسيّرون حافلاتهم ويديرون الات معاملهم بقواتها فترجع مدن هذا الشاطيء الى سالف عزها

ثم قلت ما المانع من ان تعود سورية كما كانت قديماً اهراء لاوربا

فيكثر في سهولهـا الزرع والضرع . فيزداد العمران على ضفاف الاردن والليطاني والعاصي وتكثر هنالك القرى والمدن ويسكن ملايين في تلك البقاع الخصيبة ويستغني السوريون عن هجر بلادهم

وقد اتسعت دائرة احلامي الجميلة فرأيت بعين الايمـان ذلك اليوم الذي فيه قد تتلاشى من العالم التعصبات العمياء من مذهبية وجنسية فيشعر البشر انهم اخوان في الانسانية فتسقط تلك الحواجز القائمـة بين الطبقات وتزول الرغائب الوحشية من صدور الناس فتتوجه العقول الى اكتشاف الاكتشافات واختراع المخترعات التي تكثر مواد الغذاء وتسهل على بني البشر طرق الحياة بدلاً من الدأب وراء الاختراعات الجهنمية التي يهدد بها ابناء الانسانية بعضهم بعضاً . يوم تتم اماني الانبياء فتتحول المعاقل والحصون الى معاهد علم وتهذيب . تتنور فيها الافكار وتتقوم الاخلاق وتسمو السجايا . وتتحول بوارج الحرب الى مراكب تجارية ومدافعها القتالة الى محارث وآلات زراعية فيرعى الذئب مع الخروف ويصبح العالم كله مملكة سلام وتعم القاعدة الذهبية القائلة « كما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوا انتم هكذا بهم »

مثل هذه الخواطر كانت تجول في ذهني وانا على تلك الرابية (صيف سنة ١٩١٤) فلا ارى في تحقيقها مخالفة للمعقول ولا سيما ان حواجز كثيرة كانت تفصل الامم في الماضي قد هدمت في هذه الايام فاخذوا يتمازجون ويتفاهمون ويتبادلون المنافع الاقتصادية والعلمية والادبية وهذا يساعد على ملاشاة الروح الحربية ويدفع المجتمع البشري الى تجنب الوقوع في مزالق الشرور التي تجر الويلات على المعمور

غيمة صغيرة

فقلت نعم ان في البلقان سحابة سياسيـة ولكن في العالم الوفاً من رجال العلم والفضل يسعون في تشييد دعائم السلام . رجال حل وعقد عقولهم كبيرة فلا يسمحون بامتداد هـذه الغيمة الصغيرة إشفاقاً على الانسانية لئلا تتدهور في حرب عمومية

الانقلاب الفجائي

ثَوَران العاصفة

بينما كانت هذه الخواطر تجول في ذهني وانا اتفاءل خيراً بالبشرية . شعرت فجأة بانقباض نفس واستولى عليَّ التعب فران الكرى على جفني فرأيت الغُيمة السوداء اخذت تزيد اتساعاً وتشتد اكفهراراً وتمطر على الارض كبريتاً وناراً ثم ثارت العناصر وبدأت البروق تلمع والرعود تقصف فهالني الامر وصحت اني يقظة انا ام في منام !

فكان اليَّ صوت ان ما تراهُ وتسمعه يا ابن آدم هو حقيقية لا احلام . فقد شرع العالم في خصام لم يسمع بمثله في سالف الايام فقلت ومن هم الذين تجاسروا على تعكير هـذا الصفاء . فكان الجواب . هم قادة الامم الذين حكموا الشعوب الهمجية لينشروا بينهم المدنيـة . هم الاساة المفكرون الذين يعالجون ادواء الهيئة الاجتماعية . هم الذين اخترعوا احدث الاختراعات واكتشفوا اهم الاكتشافات فاذلوا اعناق الطبيعة وسخروا قواها لمقاصدهم ولكنهم مع كل ما ذللوا من القوى لم يستطيعوا ان يذلّلوا جمـوح اهوائهم وغطرسة نفوسهم هؤلاء هم الذين قام منهم

الفلاسفة والكتبة والخطباء والواعظون فنددوا في وحشية القرون الماضية — الفوا جمعيات الرفق بالحيوان ودعوا الى الشفقة والحنان — هؤلاء هم الذين انتسبوا الى السيد الآمر بمحبة الاعداء . القائل طوبى لصانعي السلام

هم هم انفسهم تراهم الان قد تحولوا في لحظة من اخوان في الانسانية الى اعداء الداء — من حملان وديعة الى ذئاب ضارية — هاجت فيهم القوة الغضبية فخلعوا العواطف الانسانية — وكانك بسكان العالم كلهم من متحاربين ومتحايدين قد اشتبكوا في هذا العراك العام . فالذي لا يحارب بجسمه يحارب بماله . والذي لا يحارب بماله يحارب بقلمه واقواله — يحارب بعواطفه وانفعالاته واميااله — يحارب بتحزباته وتمنياته ومشتهياته

فاين حروب السالفين من حروب هؤلاء المحدثين . اين معدات اولئك من معدات هؤلاء المتمدنين المشفقين . اين مدبرو حروب ذلك الزمان من مدبري حروب هذه الايام . ايام النور والعلم والحرية والمساواة والاخاء

انظر اليهم وقد تجسمت فيهم الاحقاد والضغائن فاخذوا يقتتلون على اليابسة وتحت اليابسة — وفي الهواء — وعلى الماء وتحت الماء . يقتتلون اقتتال الاستماتة مستخدمين كل ما لديهم من وسائل التدمير والهلاك — وا أسفاه كيف تحولت الرقه الانسانية الى خشونة بربرية . كيف تمزق الستار عن تلك المدنية المزوقة فاذا تحتها همجية تكاد تكون اشد من همجية المتوحشين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كيف بدأ الخصام

حوادث الاسبوع الاول

الاسباب المباشرة والاسباب المستترة — برنسيب السرب يقتل ولي عهد النمسا — حكومة النمسا تتهم حكومة السرب بالاعتداء — بلاغ النمسا لسربيا وشروطه — رفض سربيا احد الشروط — اعلان النمسا الحرب على سربيا — انتصار روسيا لسربيا — انتصار المانيا للنمسا — زحف المانيا على فرنسا — اعلان فرنسا الحرب على المانيا — اقتراح وزير خارجية انكلترا عقد مؤتمر للنظر في حل المشكل السربي النمساوي — قبول فرنسا وايطاليا بالاقتراح — رفض المانيا له — ارسال المانيا انذاراً الى بلجكا تطلب فتح طريق لجيوشها — رفض بلجكا الطلب — اعلان انكلترا الحرب على المانيا .

لهذه الحرب العامة اسبابٌ مباشرةٌ ظاهرة واسبابٌ اساسية مستترة .

اما الاسباب الاساسية مثل الرغبة في التسوُّد والمزاحمات الاقتصادية والميل الى الانتقام والتخوُّف والتحاسد وغير ذلك من الاسباب النفسانيَّة الداخلية فهذه نتركها الان ونتقدم الى الاسباب الظاهرة المباشرة خوفاً عليها من ان يموت حفظتها فتنسى فيخسر التاريخ بعدم تدوينها خسارةً كبرى

في ٢٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٤ م هجم في سيراجيفوا من اعمال البوسنه شابٌ سربيٌّ يسمى برنسيب على الارشيدوق فرديننـد ولي عهد النمسا واطلق عليه الرصاص فقتله مع زوجته فكان لهذا الحادث رنةٌ في العالم ولا سيما في النمسا فان حكومتها قامت وقعدت لهذا الامر واتهمت حكومة السرب بانها هي المدبرة والدافعة الى هذه الجناية فارسلت اليها بلاغاً في ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ يتضمن عدة شروط تطلب من

السرب قبولها ترضيةً لها عن مقتل ولي عهدها

اما حكومة السرب فمع تشبثها بانكار ارتكاب الجناية رأت ان تذعن للعمل بشروط البلاغ كلها الا شرطاً واحداً وهو السماح لهيئة عسكرية من قبل حكومة النمسا ان تدخل بلاد السرب لاجل التحقيق بنفسها للوصول الى اساس الجريمة

فلما رفضت سربيا الشرط المذكور بحجة انه يمس استقلالها اعلنت النمسا تعبئة جيوشها العامة في ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ م تهديداً للسرب فقابلتها السرب في ٢٥ منه بالمثل وهو بمثابة جواب انها مستعده لان تدافع عن حوضها بسلاحها

وفي ٢٨ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ اعلنت النمسا الحرب على سربيا وفي ٢٩ منه بدأت المناوشات على الحدود السربية النمساوية وزحفت النمسا على بلغراد عاصمة السرب

وفي ٣١ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ اعلنت روسيا التعبئة العامة واخذت تحشد جيوشها بدعوى انها حامية الممالك السلافية وانها مستعدة لمناوئة النمسا انتصاراً لسربيا فابلغتها المانيا . وجوب الكف عن التعبئة وصرف جنودها في مدة ١٢ ساعة فلم تجاوب روسيا على ذلك البلاغ . فاعلنت المانيا الحرب عليها في اول آب (اوغسطوس) سنة ١٩١٤ . وحجتها في ذلك ان النمسا حليفتها وان روسيا هددت كيان النمسا بحشد جيوشها وتهديد النمسا هو بمثابة تهديد لالمانيا

على انّ المانيا اعلنت الحرب على روسيا وزحفت على فرنسا في ٢ آب (اوغسطس) بدعوى ان فرنسا حليفة روسيا ولا بد لها من الانتصار لها فكان جواب فرنسا على ذلك اعلان الحرب على المانيا

اما انكلترا فوقفت في بادىء الامر تجاه هذه الحوادث موقف المتحايد الذي يريد اصلاح ذات البين . فاقترح في ٢٧ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ وزير خارجيتها عقد موتمر يجتمع فيه مندوبو المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا للنظر في حل المشكل السربي النمسوي حلا سلمياً فقبلت فرنسا وايطاليا هذا الاقتراح ورفضته المانيا بدعوى ان الوقت قد فات

ولما سئلت انكلترا قُبيل اشتباك الدول عما تنوي تجاه هذه الحوادث كان جوابها ان لا علاقة رسمية لها بالمسئلة السربية النمساوية ولا بمسئلة روسيا اذا هاجمت النمسا ولا بمسئلة المانيا اذا هاجمت روسيا لانها ليست مرتبطة بسابق عهد من هذا القبيل . لكنها قالت — اما اذا دخلت فرنسا المعمعة فعندئذ يكون لانكلترا نظر في الامر

فلما اشتبكت فرنسا مع المانيا في ٣ آب (اغسطس) وجهت انكلترا سوءالاً الى المانيا وهو — هل في نيتها ان تهاجم باسطولها شواطىء فرنسا الشمالية (لان المحالفة بين انكلترا وفرنسا تقضي على انكلترا بالمدافعة عن شواطىء فرنسا اذا هاجمها عدو) فكان جواب المانيا سلباً اي انها لا تنوي مهاجمة الشواطىء المذكورة باسطولها . ثم وجهت انكلترا الى كل من فرنسا والمانيا سوءالاً ثانياً وهو — افي نيتهما خرق عهدة حياد البلجيك[1] فكان جواب فرنسا عن نفسها سلباً . اما جواب المانيا على هذا السوءال فكان ان خطتها الحربية تقضي عليها باتخاذ البلجيك ممراً فقط للوصول الى عدوها . ولا تنوي احتلالها احلالاً دائماً وبعد الحرب تقوم بنفقة ما يتخرب فيها

(١) المنصوص عنها في معاهدة سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٧٠

وفي ٤ آب (اوغسطس) ارسلت المانيا انذاراً الى بلجكا تطلب منها فتح طريق لجيوشها فرفضت بلجكا هـذا الطلب وبدأ الجيش الالماني بالزحف عليها فأخذت تقاومه بما لديها من القوة

وفي ٥ آب (اوغسطس) سنة ١٩١٤ اعلنت انكلترا الحرب على المانيا وحجتها ان ادخال جيشها في البلجيك هو خرق لحيادها وعدم احترام المعاهدة المصدق عليها من دول اوربا ومن المانيا نفسها

فأنت ترى انه من ٢٨ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ الى ٥ آب (اوغسطس) اي في مدة اسبوع من الزمان اشتبكت اكبر دول اوربا في اعظم حرب مرت في تاريخ الانسان . وكانت حجة كل دولة تحت ابطها او على راس لسانها — كل دولة ادعت انما خاضت المعمعة نصرة للضعيف او محافظة على كيانها



مراسلات بعض الملوك والرؤساء

في ما يلي نورد بعض مراسلات جرت بين بعض رؤساء حكومات العالم
ومنها يظهر تخوف العظماء من الحرب الكونية

رسالة امبراطور المانيا الى قيصر روسيا — جواب القيصر على الرسالة — جواب الامبراطور غليوم — جواب قيصر روسيا — برقية من القيصر الى الامبراطور — تلغراف ثان من القيصر الى الامبراطور — جواب الامبراطور غليوم — رسالة الملك جورج الى قيصر روسيا — جواب القيصر الروسي على رسالة الملك جورج — كتابة قداسة البابا الى امبراطور النمسا

(١)



امبراطور المانيا — غليوم الثاني

رسالة من امبراطور المانيا الى قيصر روسيا تاريخ ٢٠ تموز (يوليو) ١٩١٤

بغاية الاضطراب علمت سوء الوقع الذي نجم في مملكتك اثر اعلان

الحرب على السرب حال كونك لا تجهـل ان حركة الخواطر التي كانت موجهة من السرب ضد النمسا قد انتجت مقتل الارشيدوق فرديننـد ولي عهد النمسا اذ لا يزال في قلوب السربيين ذلك الميل الدموي الذي حدا بهم الى قتل ملكهم وملكتهم ولا ريب عندي انه يهمنا كلينا وجميـع الملوك ان يعاقب اولئك الذين تقع عليهم مسؤولية تلك الخيانة الفظيعة تأديباً لهم وعبرة لسواهم ثم من جهة اخرى لست اجهل الصعوبة التي تجدها انت وحكومتك في مناهضة الرأي الروسي . فبحق المحبة التي تربطني منذ سنين عديدة بالامبراطور فرنسوا جوزف ارجو منكَ ان تبـذل جهدك مستخدماً اقصى نفوذك لمساعدة النمسا في الاتفاق مع روسيا اتفاقاً سلمياً صريحاً . واني اؤمل ان تساعدوني بما لديكم من الوسائل لنتمكن من اتقاء المصاعب التي تتهدد السلم في هذه الايام

في ٢٠ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ — غليوم

(٣)

فاجاب قيصر روسيا في اليوم التالي وفي الساعـة الاولى صباحاً بالتلغراف الاتي :

اهنيء نفسي بعودك الى المانيا سالماً في هـذه الاحوال . واني ارجو منك ان تبذل كل ما في وسعك لمساعدتي . ان حرباً معيبة قد شهرت على شعب ضعيف . فالاستياء في روسيا من جراء ذلك عظيم جداً واني لمشترك في ذلك الاستيـاء وارى ان ليس بامكاني ان اقاوم ضغط رجال مملكتي وسأكون مضطراً الان ان اتخذ الوسائل التي تؤدي الى الحرب لا محـالة فاستحلفك بصداقتنا القديمة ان تبذل ما باستطاعتك لاقناع حليفتك بان



امبراطور روسيا — نقولا الثاني

تستعمل الرفق والتؤدة ولا تتمادى في خطة تجر الى اكبر مصيبة تنزل في اوربا وهي الحرب العامة   نقولا

(٣)

فاجابه الامبراطور غليوم في الساعة الواحدة ونصف من صباح ٢٢ تموز بما يأتي :

جاء تلغرافك وانا على رأيك في وجوب حفظ السلم . الا انه لا يمكني ان اعتبر الحرب التي شهرتها النمسا على الصرب حرباً معيبة وجائرة. لان دولة النمسا عرفت بالاختبار ان وعود السرب كثيراً ما تكون حبراً على ورق لا قيمة لها . وفي اعتقادي ان عمل النمسا الحربي يعد تجربة لاجبار سربيا على القيام بوفاء وعودها وعدم المطل بذلك ولا بد لي من القول ان وزارة النمسا والمجر لا تطمع بالحصول على ارض سربيا ولذلك

فاني اقول انه يمكن لروسيا ان تقف وقفة المتفرج على هذه الحرب من غير ان تثير في اوروبا حرباً عامة لم يحدث مثلها قط في الاجيال الغابرة · انا ارى الوفاق بين حكومتك وحكومة فيانا ممكناً وسيقابل بارتياح ولا تتأخر حكومتي عن المساعدة للوصول الى ذلك الاتفاق غير ان الاستعدادات الحربية التي نراها في بلادك ربما اعتبرتها النمسا موجهة ضدها فلا يعود لنا من سبيل لاتقاء تلك الكارثة المفجعة التي ربما ادت الى تكدير العلائق ايضاً بينك وبين هذا الوسيط الذي سألته ان يساعدك الى الوصول للاتفاق السلمي غليوم

(٤)

فاجابه قيصر روسيا في ٢٣ تموز (يوليو) بما يأتي

عهدت الى سفيري ان يوضح لحكومتك المخاطر والنتائج السيئة التي يمكن ان تنشأ عن تعبئة الجيوش · والان اكرر ما قلته ان النمسا قد عبأت قسماً من جيوشها ووجهته ضد سربيا ولذلك فاني اعبىء الجيوش الان لتقف على حدود النمسا والمجر لان المهمة الهائلة التي عهدت بها الي قد اصبحت الان مستحيلة فالمسؤولية الان واقعة عليك وفي يدك الحرب والسلام نقولا

(٥)

ثم بعث ايضاً قيصر روسيا في الساعة الثامنة من ذلك اليوم نفسه بالتلغراف الاتي الى امبراطور المانيا :

اشكرك شكراً عظيماً على اسراعك بالجواب وسأرسل في هذا المساء (بوتوشيف) مزوداً بالتعليمات · اما الاجراءات والتأهبات التي تشير اليها فكانت مقررة منذ خمسة ايام مضت لتكون جواباً على تأهب النمسا · ولي

الامل بان هذه المصاعب لا تعرقل مساعيك التي ترمي اليها لحفظ السلام والتي تراني منتظراً نتيجتها بذاهب الصبر ونحن بحاجة الى نفوذك على دولة النمسا لكي تتفق معنا على صرف هذه الامور الحرجة نقولا

(٦)

ثم ورد ايضاً بعض ذلك بقليل تلغراف من قيصر روسيا على امبراطور المانيا وهو كما يأتي :

اشكرك من كل قلبي على توسطك الذي يؤملني بحل سلمي ويستحيل عليّ ان اوقف تأهبتي العسكرية لان الاستعدادات التي تتخذها النمسا اوجبت ذلك . نحن لا نريد الحرب وما دامت المفاوضات جارية بيننا وبين النمسا فان جيشي لا يقوم بعمل عدائي . اقسم لك على ذلك بشرفي واني واثق بنعمة الله واتمنى نفوذك ووساطتك بيني وبين النمسا لخير العالم والسلام الاوربي واني لا ازال صديقك المخلص نقولا

(٧)

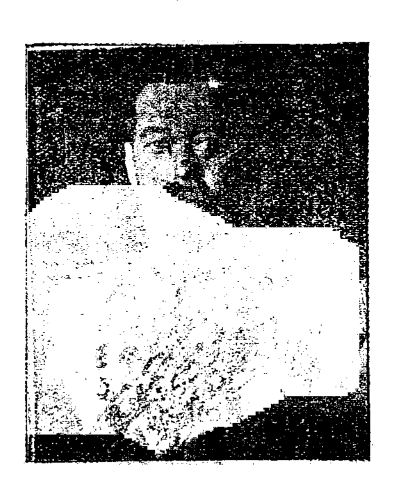
فاجابه الامبراطور غليوم حالاً بما يأتي :

بينما كنت على وشك الوصول الى الاتفاق بينك وبين حليفتي النمسا فاجأني نبأ حشد جنودك على الحدود النمسوية ومع تخوفي ان عملك هذا يجعل وساطتي عديمة الجدوى فقد استمرّيت في عملي . ولكني الان علمت من مصدر وثيق انك ارسلت جنودك على حدود بلادي فالمسؤلية التي علي لحفظ بلادي تضطرني ان اقابل المثل بالمثل . قد وصلت الى غاية ما يصل اليه المرءُ في سبيل الاتفاق والوئام واني اتنصل من تبعة المصيبة التي ستهبط على العالم المتمدن . لا يزال في امكانك ان تتقي تلك الكارثة

اذ لا يوجد من يناوىء شرف روسيا . وكان في استطاعتك ان تنظر نتيجة ما ابذله من المساعي في تأييد السلم ولقد كنت احافظ جهدي بكل امانة على تلك الصداقة الثمينة الكائنة بين بلادك وبلادي . تلك الصداقة التي اقسمت ان احافظ عليها عندما لفظ جدي نفسه الاخير . فسلام اوربا الان بين يديك وفي امكانك المحافظة عليه إذا اردت ان توقف التأهبات الحربية التي تتخذها حكومتك ضد النمسا والمجر والمانيا

غليوم

(٨)



جورج ملك الانكليز

رسالة الملك جورج الى قيصر روسيا

ارسل السر ادورد غراي وزير خارجية انكلترا إلى السفير في بطرسبرج عن لسان الملك جورج في اول يوم من شهر آب (اغسطس)

سنة ١٩١٤ يقول :

قم حالاً واطلب مقابلة القيصر وقدم له الرسالة الآتيـة كخطاب خاص . وهذا هو نص الخطاب :

ان حكومتي تلقت الرسالة التالية من الحكومة الالمانية في ٢٩ تموز (يوليو) وهي : — « طلب امبراطور روسيا الى امبراطور الالمان توسطه بين النمسا وروسيا فاجاب غليوم بالقبول وباشر توسطه في فيـانّا وابلغ القيصر ذلك تلغرافياً ولكن روسيا شرعت تعبيء جيوشها وتحشدها على حدود النمسا قبل انتظار نتيجة التوسط . فابرق الامبراطور غليوم الى القيصر يعلمه ان عمل روسيا هـذا يعرقل مساعي توسطه بين الدولتين وطلب منه ايقاف الحركات العسكرية فلم يعبأ بطلبه على ان الامبراطور غليوم استمر على توسطه وبذل اقصى جهده في مساعي السلم وهو كل ما يتمكن من عمله في الاحوال الحاضرة ولا سيما ان احدى الدولتين حليفته — وبينما كانت المساعي السلمية جارية في فيانا طبق المرغوب اذ زحفت روسيا بجيوشهـا على حدود النمسا كما اعلمنا سفيرنا في بطرسبرج ولذلك احبطت هذه الحركة الحربية توسطنا وقد حسبناها موجهة ضدنا وعليـه فلا يسعنا الوقوف مكتوفي الايدي تجاه هذه الحالة . ولذلك ابلغنا روسيا انه اذا لم توقف تعبئة جيوشها ضد النمسا والمانيا باثنتي عشرة ساعة فاننا نضطر لتعبئة الجيوش السريعة وهذا العمل معناه الحرب . ثم سألنا فرنسا عما إذا كانت تقف على الحياد تجاه الحرب الروسية الالمانية »

هذا ما جاء في رسالة الحكومة الالمانية وعليه فان حكومتي البريطانية وانا نقدر الاحوال الجسيمة والاضرار الفادحة التي تقع على العالم كله من جراء هذه الحرب كما تقدرونها انتم وحكومتكم فاذا رأيتم بوسعي عمل

شيء ما لاستئناف المفاوضات وازالة سوء التفاهم بينكم فانا مستعد لذلك حفظاً للسلام (جورج)

(٩)

فارسل قيصر روسيا الى ملك الانكليز ما يأتي :

اني بكل ارتياح اجيبكم على طلبكم لولا تقديم سفير المانيا انذاراً لحكومتي باعلان الحرب بعد ظهر اليوم ولا اخفي عنكم اننا بالرغم عن مذكرة النمسا وانذارات المانيا قد بذلنا ما في وسعنا لايجاد حل سلمي ولكن سوء النية باد من جراء اعمال النمسا التي تريد ضرب السرب وضمها اليها وذلك ما يخل بالتوازن وبالقوى البلقانية وهذا التوازن ضروري لمصلحة مملكتي ولان المانيا والنمسا قد رفضتا اقتراحكم[1] وطلباتنا ولذلك اضطرني الامر الى تعبئة جزئيـة غير ان اركان حربي اقنعوني بضرورة التعبئة التامة بالنظر الى تعبئة الالمان السريعة

اما والحرب قد اعلنت فأملي وطيد وعظيم جداً بان حكومتكم لا تتردد عن عضد روسيا وفرنسا والله يحميكم ويباركم نقولا

(١٠)

كتاب قداسة البابا الى امبراطور النمسا يلح عليه بعدم اعلان الحرب

« يا ولدي كنتَ امبراطوراً عندما كنتُ انا قسيساً صغيراً في مدرسة البندقية وانت اليوم اخي في السن ومدعواً مثلي الى امام القاضي الاعلى وحولك عصبة لا همّ لها إلا شؤون الدنيا تريد الحرب.ولكن هذه الحرب

---

(١) ربما يشير الى اقتراح اللورد غراي وزير خارجيـة انكلترا بعقد مجلس تحكيمي للنظر في حل المسألة النمساوية السربية حلاً سلمياً



فرنسوا جوزف ملك النمسا

تكون مقدمة لغمر اوربا بالدم . فاذكر ايها الامبراطور العظيم ان لك تاجاً آخر يطلب النجاة وهو تاج شعرك الابيض فلا تدنسه بلطخ الدماء . ثم من ضمن لك الحياة الى ان ينحل عقالها اذا ما مثلت امام الدائم الابدي على عتبة الجنة وقابلتك زوجتك الامبراطورة واخذت بيدك لتقف امام الديان العادل . فاعلم ان خطاياك تغفر بدمها ودم ابنك ودم ابن اخيك المقتولين هذا اذا كنت صفوحاً . لكنك اذا اعلنت الحرب يا ولدي فاخشى ان اقول ان دم اليصابات زوجتك ودم اولادك يضيع امام قتلى الحرب الطاحنة وامام الثكالى والارامل والايتام وانين الجرحى . اخاف ان لا يكون لمصائبك قيمة تذكر امام مصائب اوروبا . فاعدل عن هذه الحرب يا ولدي . يا اخي . يا امبراطوري . واتركنا نموت بسلام وقل للذين يريدون اعلانها . اعلنوها بعدي . فان زوجتي وولدي يناديانني من القبر »



الارشيدوق فردينان ولي عهد النمسا

من هذه المراسلات يظهر شدة تخوف الملوك والرؤساء من انفجار ذلك البركان . الا ان التخوف والحذر لم يستطع ايقاف ذلك اللهيب لان عوامل كثيرة كانت تسعى في اعداد وقود تلك النار قصد التوصل الى مآرب نفسانية ومنافع اقتصادية اساسها الجشع وحب التملك

مر على دول اوربا اعوام عديدة وكل منهن واقفة لمناظرتها بالمرصاد . كانوا يحشدون الجيوش ويعدون المعدات بدعوى المحافظة على السلام العام . وما زالوا كذلك حتى قام برنسيب ذلك الفتى السربي فاشعل الثقاب الاول بقتله فرنسيس فرديناند ولي عهد النمسا فصادف ثقابه هذا وقوداً صالحة فامتد اللهيب اي امتداد فاستولى الرعب على الكرة الارضية وظهرت المطامع الاشعبية مجسمة بويلات ولعنات انقضَّت على البشرية ولقد صدق المثل العامي ان (الخصام لم يكن على رمانة ولكن القلوب ملآنة)

فصل

في حوادث الحرب سنة ١٩١٤
من ٢٨ تموز — آخر كانون الثاني

اعلان الجبل الاسود الحرب على النمسا والمانيا — اعلان فرنسا وبريطانيا الحرب على النمسا والمجر — اعلان اليابان الحرب على المانيا — سبع دول ضد دولتين — حوادث الحرب العمومية — حوادثها الخصوصية — تأثيرها على الناس

مرَّ معنا — على الصفحة الحادية عشرة — انه في ٢٨ تموز شهرت دولة النمسا والمجر الحرب على سربيا فاعلنت روسيا التعبئة العامة واخذت تحشد جيوشها لمناوأة النمسا انتصاراً لسربيا . فاعلنت المانيا الحرب على روسيا في اول آب وزحفت على فرنسا في ٢ منه لانها حليفة روسيا فكان جواب فرنسا اعلان الحرب على المانيا . وفي ٤ آب ارسلت المانيا انذاراً لبلجكا تطلب منها فتح طريق لجيوشها الزاحفة على فرنسا . وفي ٥ منه اعلنت انكلترا الحرب على المانيا

هذه حوادث الاسبوع الاول من الحرب . والان نتقدم الى ما جرى بعد ذلك من الاهوال فانه في ٧ آب (اغسطس) سنة ١٩١٤ شهر الجبل الاسود الحرب على النمسا وفي ٨ منه اعلن الحرب على المانيا وفي ١٠و١٢ منه شهرت كل من فرنسا وبريطانيا الحرب على النمسا والمجر — وفي ٢٣ منه اعلنت اليابان الحرب على المانيا واغارت على مستعمرتها (كياوتشو) في بلاد الصين

فانت ترى انه بين ٢٨ تموز (يوليو) سنة ١٩١٤ وبين ٢٣ آب (اغسطس) . اي في مدة تقل عن شهر اشتبك في الحرب تسعٌ من دول

العالم—المانيا والنمسا من جانب – وانكلترا وروسيا وفرنسا واليابان وبلجكا وسربيا والجبل الاسود من جانبٍ آخر . اما الدول الباقية فوقفت على حيادٍ مسلح اي كل منهن عبأت جيوشها واعدت معداتها تتأهب لنكبات الزمان وطوارىء الحدثان

شبَّت شعلة هذه الحرب في اوائل آب (اغسطس) فلم يكن باقياً من السنة سوى خمسة اشهر ولكن مع قصر هذه المدة فان المواقع كانت هائلة لان كل فريق من المتحاربين كان يحاول التفوق على خصمه ليتمكن من سحقه بسرعة . وكانت الخطط الحربية مرسومة في عقول القواد فلما نفخ في صور القتال اندفعت الجيوش المدربة بعضها على بعض بشدة وحماسة فاستولت المخاوف على نفوس الناس عموماً واضطربت علائق البشر الاقتصادية في العالم اي اضطراب

ولا يخفى ان حوادث هذه الحرب قسمان عمومية وخصوصية . اما العمومية فهي التي لم تختص بمكانٍ واحد بل كانت علاقتها بالعالم اجمع . كالمواقع العظمى التي جرت في الساحات الكبرى . فهذه يمكن لكل مؤرخ ان يستقي اخبارها من مصادرها الرسمية ومن الجرائد والمؤلفات المشهورة

واما الحوادث الخصوصية فهي التي اقتصرت على اماكن معينة واثرت على اشخاص وجماعات دون سواهم . مثاله ان سورية لم تكن ساحة حرب عامة ولكن جرت فيها امور خاصة تسببت عن الحرب فاثرت في اهلها على اختلاف طبقاتهم اذ كانت تقع يومياً تحت الابصار وتلمس بالايدي

وما يقال عن سورية من هذا القبيل يقال عن كل بلاد فان كلاً منها اثّرت عليها الحرب العامة وان يكن هذا التأثير على درجات متفاوته

فكانك بالعالم بالنسبة الى الحرب الكونية امام لهيب من النار فالبعض احترقت اثوابهم والبعض جلودهم . والبعض ذاب لحمهم وشحمهم والبعض انسحقت عظامهم اي كل فريق أصيب بالنسبة الى ابتعاده او اقترابه من ذلك البركان الذي اخذ يقذف من حممه على البشرية لعنات جهنمية فيحق اذاً لكل شخص ان يسأل نفسه الاسئلة الاتية وهي : ما تأثير هذه الحرب على العالم ؟ ما تأثيرها على مملكتي ؟ ما تأثيرها على وطني . على بلدتي . على عائلتي . على نفسي ؟

ومع ان مواد هذه الحرب كثيرة فليس من السهل كتابة تاريخ حقيقي لها لان التأثر من نكباتها يدعو الى التغرض والتطرف فتضيع الحقيقة ويفقد التاريخ قيمته . ولقد آثرت ان اجمل الحوادث الخصوصية من كل سنة ثم اردفها بالحوادث العمومية ليسهل الرجوع اليها عند اللزوم والله الملهم الى السداد

كيف سارت الحوادث في بلادنا سنة ١٩١٤

اعلان الدولة العثمانية حيادها المسلح — مصادرة البضائع والارزاق — تأثير اعلان الحرب على المعاملات — ضياع ثقة الناس بعضهم ببعض — خوف سكان الشواطىء وهربهم — كيف قضينا صيف سنة ١٩١٤ — المجادلات السياسية — استعدادات الدولة العثمانية والغاؤها الامتيازات الاجنبية — دخولها المعمعة — اعلان الجهاد المقدس — ارسال قوة عثمانية لاحتلال لبنان وقدوم جمال باشا

لا يخفى ان الدول كانت بالنظر الى هذه الحرب قسمين . قسم دخل المعمعة منذ البداءة وقسم وقف على الحياد . ومن هذا الاخير الدولة العثمانية فانها اعلنت حيادها المسلَّح منذ البداءة . فاستدعت تعبئة عامة واخذت سلطتها العسكرية تصادر البضائع والذخائر على انواعها باسلوب جديد لم تجر عليه في ما مضى من تاريخها . فاستولى الذعر على الاهلين وامتلأ لبنان بالفارين من الخدمة العسكرية ومن تكاليفها النقدية

وكان الفكر العام ان الحرب سحابة صيف عن قريب تنقشع وان ثوران هذه العاصفة لا بد من سكونه عاجلاً والذي دعا الى هذا الاعتقاد هو تخوف الناس من النكبات والشرور التي تتأتى عن اطالة الحرب فرغبوا في اختصارها والانسان من طبعه تصديق الامور المستحبة لديه ولذلك اخذ كل واحد يغني على ليلاه ويقدر مدة الحرب على مشتهاه مستنداً على عظم التأهبات الدولية على حين ان الفريقين المتحاربين كانا على اتم استعداد فسحق احدهما الاخر لم يكن من الهنات الهينات

تأثير اعلان الحرب على المعاملات

عند ما انفجر بركان الحرب توقفت حركة الاعمال واندفع الناس على ابواب التجار والمصارف يطلبون ودائعهم المالية . فاعلنت الحكومة

تأجيل الوفاء (الموروتوريوم) الا باقساط معينة بحيث (لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم) ولكن كثيرين من ذئاب المطامع تمنعوا عن اداء ما فرضته عليهم الحكومة من الاقساط لدائنيهم مخترعين لذلك اعذاراً ينكرها الضمير الحي فشق ذلك على الدائنين ولا سيما الذين جدوا وكدحوا في تجميع غروشهم البيضا ليقابلوا بها الايام السوداء · فلما حلت الشدة رأى اولئك الدائنون ان مديونيهم يضنون عليهم بما يسد الرمق مع انهم يتمادون في البذخ والاسراف فتألمت نفوسهم وضاعت ثقتهم وضياع ثقة الناس بعضهم ببعض من اكبر الضربات على المجتمع البشري

سكان الشواطئ وخوفهم

لم يمر زمن طويل على الحرب حتى اخذ الوجل يستولي على سكان الشواطيء السورية فشرع كثيرون من المسلمين يرسلون عيالهم الى المدن الداخلية فكنت ترى عند محطة بيروت مئات من النساء والاطفال منتظرين دورهم في القطار وكانت الحافلات تزدحم بالنازحين من الساحل الى الداخل وازدادت عدوى الخوف انتشاراً بين الاهلين فسهلت الحكومة العثمانية امر السفر بتعيينها قُطُراً لنقل الفقراء مجانا على ان هذا الامر زاد الناس وجلا وقالوا لولا ان الحكومة عالمة بامور مستقبلة لما سهلت للنازحين هذا التسهيل

اما المسيحيون من سكان الشواطيء فتربصوا في اماكنهم كانهم غير خائفين من العدو المقبل من جهة البحر · بل بعض مسيحي الداخل كانوا يقصدون الساحل · والخلاصة ان الخوف كان عاماً وكل فريق كان يهرب الى الجهة التي ظن ان له فيها الراحة والاطمئنان

كيف قضينا صيف سنة ١٩١٤

قضينا ذلك الصيف في (سوق الغرب) فكنا نطالع اخبار المتحاربين برمتها . لان اتخاذ الدولة العثمانية موقف الحياد . اطلق للجرائد حرية نقل الانباء . فكانت ترد علينا اخبار الفريقين فنستطيع الاهتداء بواسطتها الى الحقيقة او ما يقرب منها

وكان في لبنان يومئذ جماعات تتناظر — والسوريون والمصريون خاصتهم وعامتهم لهم المام في فن السياسة فيتكلمون كمن له سلطان من حيث معدات الدول البرية والبحرية والجوية . وكل منهم يستطيع انتقاد خطط القواد واراء الساسة . فكنا نعين مقدرات الامم ومصير الممالك ونحن جالسون على بساط الراحة

الخلاصة ان حروبنا ذلك الصيف كانت كما يقول المثل (بالنظارات) لان (الموسى) لم تكن قد بلغت اللحى . — نعم توقفت الاعمال ولكن اسعار الحاجيات لم ترتفع وكان عند الناس ذخائر وابواب البحر لم تزل مفتوحة لارسال النجدات المالية من المهجر — وفصل الصيف بساطه واسع فاستطاع كثيرون ان يعتصموا في لبنان فراراً من الخدمة العسكرية ومن تأدية البدلات النقدية ريثما يسكن ثوران ذلك العاصف . والذي هون على الناس الصبر والاحتمال هو كما المعنا سابقاً حسن الرجاء بقرب انتهاء الحرب . فآمنوا بسرعة مجيء الفرج بعد الضيق واعتقدوا بكسر قيود الاستعباد وتحطيم الاغلال

نعم كنا نطالع انباء الحرب ولكن مطالعتنا لها كان من قبيل مطالعة الروايات فلم نكن لنهتم كثيراً بما كنا نقرأه عن شدة المعارك في بلجكا وفرنسا وسربيا والنمسا وغيرها من الساحات التي كانت تتقاتل فيها ملايين

الجنود من زهرة الشبان – ولا عن البوارج والغواصات التي كانت تتكافح على سطح الماء وتحت الماء فيشق بعضها بعضاً وتهوي الى اعماق اليم بما فيها من المال والرجال – ولا عن المدافع الضخمة التي كانت تقذف من فوهاتها القنابل على الحصون والمعاقل فتجاوبها هذه بالمثل فترتجف الارض من ذلك الرعد القاصف ويمتلىء الجو بالدخان واللمعان – ولا عن الطيارات السابحات في الفضاء التي كانت تلقي قذائفها الجهنمية على البشرية – ولا عن الغازات الخانقة التي كان يتقاذف بها جنود الدول المتمدنة – ولا ولا . . عن غير ذلك من الذرائع الشيطانية التي اخترعها الانسان المتهذب للفتك باخيه الانسان

فنحن الذين كنا بعيدين عن ميادين القتال لم نكن نتأثر كثيراً من انباء الصحف . ولذلك كنا نقضي اوقاتنا في المجادلات والمناضلات السياسية وكثيراً ما كانت تفضي بنا تلك المناظرات الى التمادي في الحدة ثم لا نلبث ان نعود الى رشدنا ونقول (فخّار يكسر بعضه) غير عالمين ان دول الغرب اذا حطمت بعضها بعضاً لا نسلم نحن سكان الشرق من عواقب ذلك التحطيم

استعدادات الدولة العثمانية

قلنا ان تركيا اعلنت في ٢٨ تموز حيادها المسلح وفي ٢٩ منه بدأت بالحشد العام فكانت تجمع الجنود وتمرنها وترسلها الى جنوب سورية . وكان الرأي العام ان تركيا اذا دخلت المعمعة فانما تدخلها عن جانب المانيا . وفي ٩ ايلول اصدرت امراً بالغاء الامتيازات الاجنبية وفي غرة تشرين الاول اقفلت (البوستات) الغريبة واستولت على ما فيها من الرسائل فاستولى

الخوف على الاجانب الوطنيين معاً واخذوا يحسبون الف حساب وطلبت الحكومة الانكليزية المصرية مستخدميها في سورية قبل انتهاء اجازاتهم فساد اضطراب الافكار وشرع الناس يتساءلون عما سيكون . وراجت سوق الاشاعات المكدرة واخذ كل يؤلف على هواه

اما الكلية الامركانية فاعلنت انها مستعدة لقبول التلامذة في تشرين الاول وقد امها عدد ليس بقليل من الطلبة المصريين مما دل على ان اهلهم لم يكونوا خائفين من دخول تركيا الحرب وقد نزلنا من الجبل لاستئناف اعمالنا . مع ان معظم الصائفين ظلوا في لبنان يعللون انفسهم بقرب انفراج ازمة الحرب قبل فصل الشتاء

دخول تركيا المعمعة

في اوائل الحرب هربت دارعتان المانيتان وهما (غوبن وبرسلو) ودخلتا الدردنيل في ١١ آب . ثم اعلنت تركيا انها اشترتهما من المانيا فاشتد ساعد الاسطول العثماني بهما واخذ يتجول في البحر الاسود . وفي ٢٩ تشرين الاول التقى الاسطول الروسي الاسطول العثماني فتضاربا فاعلنت الحرب بين روسيا وتركيا وكل منهما ادعت على الثانية انها البادئة بالشر ومهما يكن فان المانيا حصلت على مرغوبها الا وهو ادخال تركيا عن جانبها وهو فوز لسياستها على سياسة انكلترا وفرنسا . فان هاتين الدولتين مع ما بذلتاه من المال والرجال في سبيل المحافظة على كيان تركيا في الماضي لم تستطيعا الان على ادخالها بجانبهما ولا على ايقافها عن نصرة عدوهما لا بالترغيب ولا بالترهيب فقلبت لهما ظهر المجن مدعية انهما خزلتاها في نكباتها المتأخرة خلافاً لالمانيا التي عطفت عليها فالقى فتيان الترك مصيرهم بين ذراعيها مملئين نفوسهم باحلام جميلة

ولا يجهلنَّ عاقل ما كان لدخول تركيا هذه الحرب من المنفعة لالمانيا ومن الضرر لاخصامها . وفي ٣١ تشرين الاول برح سفير روسيا الاستانة وفي اول تشرين الثاني تركها سفيرا انكلترا وفرنسا واصبحت تركيا بحالة حرب مع هذه الدول الثلاث

السوريون عموماً ودخول تركيا

اما المسلمون في سوريا فظهر عليهم الاستياء من دخول تركيا المعمعة الكونية لانهم كانوا متشائمين يرون المستقبل مظلماً ففضلوا ان تبقى الدولة العثمانية على الحياد واقفة وقفة المتفرج — واما المسيحيون ولا سيما سكان الشواطئ البحرية فانهم خافوا وابتهجوا في وقتٍ واحد . اما خوفهم فنتج عن امكان استمرار الحرب مدة طويلة وهم مكلفون بالخدمة العسكرية وبتأدية الضرائب الحربية مع تعرضهم لسوء المظنات وللشدائد والنكبات في سبيل دولة يودون من زمان التخلص من نيرها . اما ابتهاجهم فنجم عن بارقة امل وهو انه على فرض طالت مدة الحرب بسبب دخول تركيا فيها فهذا لا يمنع قرب انفراج الازمة عن سوريه لان شواطئها معرَّضة للغزو ففي بضعة ايام تتوجه عليها الاساطيل وتحتلها قوات فرنسوية وانكليزية فيتحرر سكان الشواطئ على الاقل

ولم تكن هذه الفكرة فكرةً عامية فان خاصة الناس قالوا بها . فلما اصبحت تركيا بحالة حرب مع الحلفاء عين والي المدينة (بكر سامي بك) يومئذٍ لجنةً لتسليم بيروت على طريقة قانونية — وادارة الكلية الامركانية اخذت تستعد لاستقبال اللاجئين اليها عند الاحتلال كما الجأتهم يوم حادثة التليان سنة ١٩١١



سلطان الاتراك محمد رشاد

اعلان الجهاد المقدس

في الحادي عشر من تشرين الثاني اعلن السلطان العثماني (محمد رشاد) الجهاد المقدس بصفة انه امير المؤمنين في العالم

والظاهر ان المانيا كانت قد تواطأت مع فتيان الاتراك على هذا بغية ان دعوة الجهاد هذه تحرك العالم الاسلامي ضد حاكميه المسيحيين فيثور المسلمون على السلطة الانكليزية والفرنساوية فتنشأ قلاقل في اسيا وافريقيا تشغل هاتين الدولتين عن التفرغ لمناوأة المانيا . الا ان الحلفاء احتاطوا لهذا الامر فلم تؤثر دعوة الجهاد في مستعمراتهم كما كان منتظراً . والمسلمون في سوريا لم تحركهم هذه الدعوة لانهم حسبوها اصطناعية

البارجة اسكولت

قلنا انه عند نزول تركيا الى ميدان الحرب اخذ سكان الشواطئ السورية ينظرون الى جهة البحر متوقعين الفرج. وفي ١ كانون الاول اقبلت على ثغر بيروت البارجة الروسية (اسكولت) فاستبشر الناس وقالوا حانت ساعة الاحتلال واخذ اهل المدينة يتراكضون الى جهة لبنان وهربت هيئة الحكومة بسجلاتها الى صوفر. غير ان الدارعة المذكورة مرّت من امام بيروت متجهة الى طرابلس حيث اطلقت بعض المدافع تهويلاً ثم رجعت ادراجها دون ان تفعل شيئاً يذكر. وقد زعم البعض انها انما اتت للاستكشاف وانه لا بد من قدوم اسطول بعدها تصحبه النقالات الحاملة جنود الاحتلال

ومن ثم اخذت دوارع الحلفاء تتردد على الشاطئ. وبدأ رجاء السوريين بدنو النجاة يتناقص لانهم ادركوا ان تلك المدرعات كانت تأتي ليس محبةً بسواد عيونهم بل لحصر شواطئهم ولمنع مجيء الاقوات اليهم

وكان على السوريين ان يصبروا على حوادث الايام ونكبات الزمان الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

واقبل الشتاء واشتدّ البرد في الجبال وهبط اللاجئون اليها ودفع بعضهم البدلات النقدية وسلّم البعض الآخر نفسه (للسوقيات) العسكرية. وبدأت عيال كثيرة تشعر بالضيق بسبب وقوف حركة الاعمال واخذ عدد المتسولين يتكاثر وكانت الرحمة لا تزال في قلوب كثيرين فمدوا ايديهم لمساعدة البائسين فلم تنتشر المجاعة سنة ١٩١٤ انتشاراً مخيفاً لان الاقوات في البلاد كانت كثيرة وحسن الرجاء بقصر مدة الحرب عظيم

ارسال قوّة عثمانية لاحتلال لبنان

في اواخر تشرين الثاني ارسلت القيادة التركية من الشام فرقة لاحتلال جبل لبنان فداهمتها عاصفة بين زحله والشوير فمات منها عدد

وتفصيل الحادثة انه بلغت هذه الفرقة زحلة وبعد قضاء بضع ساعات استراحة رأى قائدها ان يواصل السير الى ضهور الشوير وقد كان الطقس جميلاً فلما بلغت المنفرج بين جبل الكنيسة وصنين باغتتها العاصفة بشدة ورافق المطر والزمهرير ضباب كثيف وارخى الليل سدوله وكان الجنود يجهلون تلك المسالك الوعرة فتشتتوا بين تلك الشعاب ومات منهم من مات برداً وجوعاً

وقد اظهر اللبنانيون كرم اخلاق فانهم حملوا في ذلك الليل الزاد واغاثوا اولئك الملهوفين

قدوم جمال باشا وتشكيل مجلس عرفي

وعينت الحكومة جمال باشا ناظر البحرية مندوباً مطلقاً في سورية . وفي ٥ كانون الاول وصل الى دمشق واستلم قيادة الجيش الرابع . وتشكل مجلس عرفي في عاليه لمحاكمة اهل الشبهات في سورية ولبنان وفلسطين

مرّ على بداءة الحرب خمسة اشهر اي من اوائل آب الى اواخر كانون الاول سنة ١٩١٤ والاحوال تتزايد شدّة . وكما ذكرنا لمحة خصوصيَّة عن احوال بلادنا في هذه المدة لا بدّ لنا من ذكر خلاصة عمومية عن احوال العالم اجمالاً فيما يلي

لمحة

﴿ من سير حوادث الحرب في العالم عموماً سنة ١٩١٤ ﴾

ساحة اوربا الغربية — دخول الجنود الالمانية لكسمبرج — مهاجمة بلجكا — الاستيلاء على لياج ونامور وبروكسل — ضرب اوزان — الاشراف على شمالي فرنسا — معركة المارن الاولى — الالمان على بعد ثلاثة أيام من باريس — امر القائد العام جوفر بالكف عن التقهقر — تراجع الالمان — حفرهم الخنادق في شمالي فرنسا وتثبيت اقدامهم فيها — اسقاط حصون انفرس

لم يرَ في تاريخ الانسان حرب تعددت فيها الساحات كتعددها في هذه الحرب الكونية والان نأتي على اجمال حوادث كلٍّ منها

ساحة اوربا الغربيَّة

وهي ساحة البلجيك وشمالي فرنسا ويمتد طول خط القتال فيها نحو ٤٥٠ كيلو متراً اي من شواطيء البحر الشمالي الى سويسره . فعند بداءة الحرب دخلت الجيوش الالمانية لكسمبرج وهاجمت بلجكا . وبعد عراك شديد استولت في ٧ آب (اغسطس) على (لياج) ثم على (نامور) . وفي العشرين منه اخذت العاصمة (بروكسل) . وفي ٢٥ منه ضربت (لوفان) . ففي نحو ثلاثة اسابيع تمكن الجيش الالماني بعد ضحايا عظيمة من اختراق بلجكا واشرف على شمالي فرنسا

وبدأ في ٢٨ آب بمعركة المارن الاولى التي استمرت الى ٧ ايلول وهي من اعظم معارك هذه الحرب واليك خلاصتها :

معركة المارن

كان الانكليز قد ارسلوا مئة الف جندي تحت قيادة السرجون فرنش في ١٦ آب (اوغسطس) لانجاد فرنسا فلما انتهى الجيش الالماني من اختراق بلجكا توجه بقوته في ٢٨ آب الى سحق الجيش الفرنساوي الانكليزي وحاول الالتفاف حول جناحه الايسر فتمكنت جيوش الحلفاء من التقهقر بانتظام امام القوات الالمانية

ولما بلغ الجيش الالماني نقطاً لا تبعد عن باريس سوى ثلاثة ايام ظن القائد (فون مولتن) انه اضعف جناح الفرنساويين الايسر الى درجة لا يستطيع معها المهاجمة فانقض بتسع مئة الف مقاتل ومن ورائه جيش احتياطي عظيم على قلب الجيش الفرنساوي ناوياً خرقه فادركت القيادة الفرنساوية الخطر المحدق فامرت مساء الخامس من ايلول الجناح الايسر بالكف عن التقهقر وبالارتداد على جناح الالمان الايمن . وكان منطوق امر جوفر القائد العام الى جميع القوات الفرنساويين « حانت الساعة للتقدم الى الامام مهما كانت التضحية الموت وانتم ثابتون خير من التراجع » فتمكن جناح الفرنساويين الايسر من رد جناح الالمان الايمن لان الالمان كانوا قد وجهوا معظم قوتهم الى قلب الجيش الفرنساوي فاصبح الجيش الالماني بين شفرتي مقص فالتزم ان يتراجع امام اعدائه حتى الثاني عشر من ايلول

فتكون موقعة المارن الاولى قد استمرت من ٢٨ آب الى ١٢ ايلول اي نحو اسبوعين . ففي الاسبوع الاول كان الجيش الفرنساوي الانكليزي متراجعاً امام الجيش الالماني . وفي الاسبوع الثاني كان

الفرنساويون والانكليز مهاجمين والالمان متراجعين . وقد اظهر كل فريق من الجيشين المتحاربين في هذه المعركة من ضروب التفنن في هجومه وتراجعه ما لم يذكره تاريخ

ولقد روي عن القائد الالماني فن كلوك (Von Kluck) ان الحيرة اخذت منه كل مأخذ عندما بلغه انضمام حامية باريس الى جناح الفرنسويين الايسر وقال انه ما خطر له ان القائد الفرنساوي غلياني (Galliani) يخاطر كل هذه المخاطرة ويخرج بحامية باريس الى بعد اربعين ميلاً عن استحكاماتها

اما الالمان فكانوا قد حفروا خنادق في شمالي فرنسا وثبتوا اقدامهم فيها ومن ثم وقف الجيشان مقابل بعضها البعض يتناضلان. وبعد ارتداد الالمان من نهر المارن الى الرين واعتصامهم وراء استحكاماتهم في شمالي فرنسا مرّ عدة شهور والحرب في الساحة الغربية سجالاً نظراً لما كان يظهره قواد الجانبين من ضروب التفنن والدهاء . تعددت في هذه الساحة المناوشات ولكن ضحايا المناوشة فيها كانت تفوق ضحايا معركةٍ كبيرة من حروب السابقين . وذلك بالنظر لوسائل التدمير والهلاك التى لم تكن معروفة عند الاقدمين

ثم ان الالمان عند اختراقهم بلجكا تركوا وراءهم حصون انفرس محاطة بقوات منهم فلما ارتدوا في معركة المارن عادوا اليها واسقطوها بمدافعهم الكبيرة عيار (٤٢) وذلك في ٩ تشرين الاول بعد ان ظن كثيرون ان تلك الحصون امنع من عقاب الجو .

الساحة الشرقية في اوروبا

اشتداد الروس على النمساويين واستيلاؤهم على لمبرغ — عبورهم جبل الكارابات — الاستيلاء على ترنوفنش وياروسلاف — حصر برزميسل — تهديد الروس مدينة كنجسبرج في بروسيا الشرقية وصدهم عنها بواسطة هندبرغ — ساحة الشرق الاقصى — اعلان اليابان الحرب على المانيا ومهاجمة كياوتشو — ساحة الشرق الادنى — جيش هندي انكليزي يحتل البصرة والقرنه صاعداً على جوانب الفرات — ساحة البلقان — زحف النمساويين على سربيا — استيلاؤهم على بلغراد وجلاؤهم عنها — ساحة افريقيا — غزو الانكليز والفرنساويين المستعمرات الالمانية — معارك البحار بين اسطول انكلترا واسطول المانيا واغراق عدة دوارع من الجانبين

الساحة الشرقيـة في اوربا هي الساحة الروسية النمساوية الالمانية طولها نحو ٢٥٦٨ كيلو متراً . فان الروس اشتدوا فيها على النمساويين وزحفوا على لمبرغ عاصمة غاليسيا واستولوا عليها في الثاني من ايلول . ويقول العارفون في فن الحرب ان اسراع الروس في استعدادهم وتمكنهم من اسقاط لمبرغ واسرهم فيها نحو ثلاثمئة الف من النمساويين كان من الاسباب التي مكنت الحلفاء من صد تيار الالمان عن باريس لان هؤلاء التزموا عند سقوط لمبرغ الى ارسال عدة فيالق من الساحة الغربية لنجدة حليفتهم ولكل حادث من الدهر اسبابٌ ومسببات

ثم عبر الروس مضايق جبال الكارابات واستولوا على ترنوفنش وياروسلاف وطوقوا مدينة برزميسل بجيش عظيم . ولم يقتصروا على مهاجمة النمسا بل هاجموا الالمان من الشمال فعبروا حدود بروسيا الشرقية وهددوا مدينة كنجسبرج فصدهم عنها هندنبرغ في ١٦ ايلول ثم ارتدا عليه وارجعوه الى بروسيه الشرقية وكانت المواقع في هذه الساحة بين

الروس والالمان مواقع كرّ وفرّ

سير الحوادث في ساحة الشرق الاقصى

اعلنت اليابان الحرب على المانيا في ٢٣ آب وارسلت اسطولها لمهاجمة مستعمرتها الصينية كياوتشو– واستولت على (تسنتو) في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر)

الحوادث في ساحة الشرق الادنى

لما دخلت تركيا الحرب ضد انكلترا سيرت هذه جيشاً من الهند في اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) فبلغ العراق في الرابع عشر منه ويقال ان هـذا الجيش كان عدده (١٥) الف مقاتل معظمهم من الهنود فاخذوا يتقدمون بدون مقاومة تذكر واحتلوا البصره في ٢١ تشرين الثـاني (نوفمبر) والقرنه في التاسع من كانون الاول (دسمبر) واخذوا يتقدمون في زحفهم صاعدين على جوانب الفرات

الحوداث في ساحة البلقان

شبّت شعلة نار الحرب الكونية في هـذه الساحة فاخذ النمساويون يزحفون على سربيا وفي الثاني من كانون الاول استولوا على عاصمتها بلغراد ثم في الرابع عشر منه اخلوها

ساحة افريقيا

غزو المستعمرات الالمانية — المناداة بالبرنس حسين سلطاناً على مصر– اعلان ضم جزيرة قبرص للاملاك الانكليزية

في ٢٧ ايلول (سبتمبر) غزا الجنرال بوثا مستعمرة المانيا في الجنوب

الغربي من افريقيا . وفي ٢٨ سبتمبر اغار جيش فرنساوي انكليزي على مستعمرة الكمارون الالمانية – وفي ١٧ كانون الثاني اعلنت بريطانيا العظمى حمايتها على مصر ونادت بالبرنس حسين كامل سلطاناً . وكانت عند اعلانها الحرب على تركيا اعلنت ضم جزيرة قبرص . فانه مرّ على احتلال الانكليز لهذه الجزيرة نحو ٣٥ سنة وهي تدفع جزية معينة للدولة التركية لانها محسوبة من املاكها . فلما اعلنت انكلترا ضمها الى سلطنتها ارتفعت عنها تلك الجزية

معارك البحار

كانت ساحات المعارك البحرية متعددة . ففي ٢٨ آب اغرق الاسطول الانكليزي في البحر الشمالي بالقرب من (Heliogland) ثلاثة طرادات المانية ومدمرتين – وفي ١ تشرين الثاني اغرق الاسطول الالماني بقرب الشيلي طرادين انكليزيين وهما (Monmouth) و (Good Hope) – وفي التاسع منه اغرق الطراد (سدني) الطراد الالماني (امدن) في البحر الهندي بعد ان ظل هذا شهرين جائلاً في البحار يغرق ما يصادفه من مراكب اعدائه التجارية

وفي ٨ كانون الاول حدثت موقعة بين الاسطولين الانكليزي والالماني عند جزائر فوكلند فدارت فيه الدائرة على الاسطول الالماني فخسر ثلاثة طرادات

بلغنا نهاية سنة ١٩١٤ وعدد الدول المشتبكة في الحرب عشر وهي المانيا والنمسا وتركيا من جانب – وفرنسا وانكلترا وروسيا واليابان وبلجكا وسربيا والجبل الاسود من الجانب الآخر

فصلٌ

في حوادث الحرب سنة ١٩١٥

« سير الحوادث في الوطن »

تشكيل محكمة عسكرية في عاليه — محاكمة ارباب الرسائل والرقم — الرقم السياسية — رسائل المثالب والمطاعن — مكاتبات اللئامة وسؤ النية — الهزال الذي ظهر على الناس عموماً — المجاعة لم تشتد وطأتها سنة ١٩١٥

مرَّ معنا في حوادث سنة ١٩١٤ ان الدولة العثمانية الغت امتيازات الاجانب وفي غرَّة تشرين الاول اقفلت مراكزهم البريدية وحجزت على ما كان فيها من الرسائل والرقم وفي ٢٩ تشرين الثاني اي عند دخولها المعمعة الكونية عينت لجنة لمعاينة تلك الرسائل ثم حجزت اوراق قنصليات الدول المعادية . وكانت قد شكلت محكمة عسكرية في عاليه فاخذت تحول اليها من تلك الرسائل والاوراق كل ما له علاقة بها . فلما دخلت سنة ١٩١٥ كان كل شيء مجهزاً امام المحكمة المذكورة فاخذت تطلب ارباب تلك الرسائل والرقم من اطراف لبنان وسورية وفلسطين فاستولى الرعب على الناس

وكان طلب المتهمين يقع غالباً ليلاً فتحضر قوَّة عسكرية وتذعر اهل البيت بتفتيشه وضبط ما فيه من الاوراق وسوق المتهم

وكثيراً ما كانت تجد بين اوراق المفتَّشين ما له علاقة بغيرهم اي ان جريرة واحد كان يجرُّ بها عدد الى المحكمة العرفية . على ان كثيرين كانوا بعد اخذ افاداتهم يبرأون ولكنهم قلَّما كانوا ينجون من عواقب الخوف والتعب . اعرف شخصاً فتِّش منزله وكان بعض اهل قريته الفو

جمعية يجمعون بها دراهم لاصلاح عين ماء البلدة فوجدت اسماء اعضاء الجمعية بين اوراق صاحب المنزل فارتابت بهم الحكومة المحلية فالقي عليهم القبض وارسلوا الى الديوان العرفي متحملين النفقات والمشقات والمسافة بين قريتهم وعاليه نحو اربعة ايام وبعد استجوابهم ظهر للمجلس العرفي براءتهم فأطلق سبيلهم ولكن بعضهم تأثر من هذا الحادث فاعتلّ جسمه وقضي عليه وقد وقع عدد من امثال هذه الحوادث

محتويات الرسائل التي لاجلها حوكم الناس

كانت الرقم التي بسببها سيق البعض الى المحكمة العرفية قسمين . منها ما احتوى مخابرات سياسية اما بين وطني وآخر في بلاد المهجر او بين وطني واجنبي كالاوراق التي وجدت في بعض القنصليات وبالطبع كان الذنب الاخير في نظر الحكومة التركية اشد من الاول لانها حسبت امثال هذه المفاوضات من قبيل تسليم البلاد للاجنبي

اما القسم الثاني من تلك الرسائل وهو الاعظم فانه لم يحتوِ مفاوضات سياسية بل كان محشواً بالمثالب والمطاعن على الاتراك بكلمات بذيئة تترفع عنها التربية العالية فان كثيرين من المتغربين كتبوا في اوائل الحرب لاهلهم واصدقائهم في سورية رسائل يطعنون بالحكومة العثمانية ويظهرون تمنياتهم ورغائبهم في زوالها . فامثال هذه الرقم سمتها الحكومة تمنيات ردئية واخذت تحاكم المرسلة اليهم . ولو درى الذين كتبوها انها ستسبب لاهلهم واصدقائهم السجن والابعاد والتغريب والعذاب والموت لما كانوا فعلوا ذلك . وما احسن الحكمة القائلة سلامة الانسان في حفظ اللسان

بين تلك الرقم رسائل لا يعذر مرسلوها لانهم تعمدوا الاضرار بغيرهم

فاذا عذرنا الذين حوكموا بسبب المفاوضات السياسية بقولنا انهم يئسوا من اصلاح الاتراك فرأوا ان افضل وسيلة لبلادهم هو وضعها تحت سيادة اجنبية . واذا عذرنا الذين ارسلوا لاهلهم واصدقائهم الرسائل المحشوَّة بشتائم ومطاعن بالدولة العثمانية بقولنا ان الذين كتبوها انما كتبوها عن سلامة نيَّة وقصر نظر في العواقب . فهنالك فريق لا يمكن ان يعذروا على رسائلهم لان الدافع اليها كان سوء النية وتعمُّد الاذى . فان بعض السوريين في المهجر اغتنموا المشاكل والاضطرابات يومئذٍ لصبّ جامات انتقامهم على اخوانهم في الوطن لان بينهم عداوة قديمة فارسلوا اليهم رسائل مزورة يحاولون القضاء عليهم . ومن امثلة هذه الرسائل ان الكاتب كان يقول

— حضرة فلان — اخذنا كتابكم تاريخ كذا . الذي فيه تخبرونا انكم الفتم جمعية اسمها كذا . لمقاومة الاتراك الحكام الظلام . اما نحن فنحبذ عملكم ونسعى في جمع اعانات لكم فثابروا على خطتكم الشريفة الخ — اما التواقيع فكانت مستعارة مثل صديقكم فلان او ابن اختكم . او سكرتر الجمعية الفلانية

ولولا اغضاء بعض المراقبين شفقة على ابناء وطنهم وذكاء بعض اعضاء المجلس العرفي ووجدانهم الحي لمات كثيرون بسبب هذه السفالات الاخلاقية

الهزال الذي ظهر على الناس عموماً

من الاقاصيص ان ملكاً سلَّم رجلاً خروفاً وزنه كذا وامره ان يعلفه بشرط ان لا تحصل زيادة في وزنه . فاحتار الرجل كيف يطبق بين

الامرين فاشار عليه احد الحكماء ان يقتني ذئباً وفي آخر الاسبوع يظهره للخروف فيخسر الخروف ما يكون قد كسبه من السمن في مدة اسبوع لان الخوف يؤثر عليه - هذا ما جرى في بلادنا فان الاشباح المخيفة التي كان يتوالى ظهورها في ايام الحرب اقلقت راحة الناس واكثرت هواجسهم وحرمتهم لذة النوم واثرت على عقولهم واجسامهم فتغيرت سحنتهم واصفرت الوانهم وخفَّت اوزانهم . وهذا لم يقتصر على الفقراء او متوسطي الحال فقط بل تناول الاغنياء انفسهم لانه كان لكل طبقة نوع من الاهتمامات والمخاوف

على انه مع كل ما اصاب الناس من الاهوال والاهتمامات فالمجاعة في سنة ١٩١٥ لم تستحكم حلقاتها وسبب ذلك ان الاسعار الغذائية لم يكن ارتفاعها فاحشاً . نعم توقفت اشغال العمال وكثر عدد المتسولين ولكن كان بايدي الموسرين فضلات مال ساعدوا بها المعسرين وكانت المراكب التليانية تتردد على الشواطئ السورية فيستأنس بها الناس والنجدات المالية لم تنقطع من السوريين في المهجر عن اهلهم في الوطن

الزحف على ترعة السويس

وصول الجيش التركي الى الترعة ومحاولته قطعها — ارتداد الجيش العثماني بقوة الدوارع الانكليزية — الشروع بمد سكة حديدية في صحراء سينا

اما ساحات الحرب فكان اقربها الى سورية جبهة سيناء . فان جمال باشا كان قد اذاع بلاغاً في اوائل كانون الاول سنة ١٩١٤ يستنهض الامة العثمانية للزحف على مصر . وفي ١٥ منه وصل الى دمشق اللواء النبوي الشريف وكان على السوريين ان يقدموا لوازم تلك الحملة من مال ورجال

وذخائر ومآكل والبسة واوعية . ومرَّ كانون الثاني سنة ١٩١٥ ودخلنا في شهر شباط . وفي اليوم الثاني منه وصل نبأ ان الجيش العثماني قطع الترعة فضجَّ الناس وبدأت العامة في مظاهرات الانتصار ولكن قبل تكامل الافراح ورد نبأ آخر من جمال باشا نشرته الجرائد المحلية مآله انه عند محاولة الجيش التركي قطع الترعة فاجأهم الانكليز بقوة من الدوارع والاتوموبيلات المصفحة بالفولاذ وان الجيش العثماني ارتد ولم يترك للعدو الا جثث القتلى

والحقيقة ان الاقدام على ايصال جيش مهما كان صغيراً الى الترعة وتحمل مشقات قطع برية سيناء تلك الصحراء المخيفة . كل ذلك يعد من الحوادث التاريخية . وهل كان تسيير تلك الحملة من باب الهوس او الجنون ام كان هنالك غاية ينشدها الاتراك والالمان . لا شك ان تلك الحملة التي بلغت الترعة كان القصد منها ايقاظ المصريين الى الثورة ضد الانكليز ولكن انكلترا احتاطت للامر ولم تمكن اعداءها من ازعاجها

على ان الاتراك والالمان رجعوا يمدون سكة في قلب صحراء سيناء مارةً في بئر سبع تهديداً للانكليز وقد ساقوا الى العمل فيها الوفاً من كهول السوريين والغير القادرين على حمل السلاح فكانت تلك الصحراء مقبرة لكثيرين من اولئك المساكين الذين اماتهم التعب والحر وشظف العيش وقلة الطعام . فكم ترمَّل من نساء وكم تيتم من اطفال بسبب تلك الحملة في ذلك التيه

مهاجمة الدردنيل

آمال السوريين بالفرج — البوارج الفرنساوية تضرب الشاطىء الاسيوي والبوارج الانكليزية تضرب الشاطىء الاوروبي

في ١٩ شباط سنة ١٩١٥ باشر الانكليز والفرنساويون مهاجمة مضيق الدردنيل فكان الفرنساويون يضربون بمدافعهم البحرية القلاع التي على الشاطىء الاسيوي والانكليز يضربون التي على الشاطىء الاوروبي . واخذت امال السوريين تحوم حول ذلك المضيق لعلّ فرجهم يأتي من الاستيلاء عليه فيتمكن الحلفاء من دخول الاستانة ويسلّم الاتراك بما يُملى عليهم من شروط الصلح المفرد ويتصل الروس بحلفائهم فترتخي يد الالمان وينقطع رجاؤهم من مهاجمتهم الانكليز عن طريق مصر ومن جلب الاقوات من الشرق . هذه كانت احلام السوريين ولا بدع فقد كانت الثقة عظيمة باسطول انكلترا وفرنسا . احتدمت الموقعة فسقطت عدة حصون من الدردنيل واغرقت عدة دوارع للحلفاء . ولندع الان المعركة محتدمة ونلتفت الى ما كان يجري في بلادنا

عودٌ الى حوادث الوطن

اوهانس باشا يحل مجلس لبنان مكرهاً — صدور الاوامر بهدم اسواق بيروت — قطع الاشجار لتسيير القطار

في الثالث من اذار حلّ اوهانس باشا مجلس ادارة لبنان مكرهاً وقد اظهر متصرف الجبل المذكور استياءه من المداخلة في اعماله ولكن احتجاجاته لم تجده نفعاً فان الاوامر العسكرية كانت فوق كل قوّة ادارية . وفي الثامن من نيسان صدرت الاوامر بهدم اسواق بيروت فشرع

الوالي بكر سامي بك بذلك . وفي الحادي عشر من نيسان ظهر الجراد بكثرة . وكانت العسكرية قبل ذلك امرت بقطع الاشجار وقودًا للقطار . واخذت الايام تزداد اكفهرارًا متلبدة بسحب الارزاء والنكبات واصبحت البلاد والعباد في حالة يصدق فيها قول الشاعر :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهامٌ تكسرت النصال على النصال

عود الى الدردنيل

هدم بعض حصونه — اغراق عدد من بوارج المهاجين — اسقاط وزارة فنزيلوس ورفض حزب ملك اليونان امداد الحلفاء بجيش ينزلونه في غليبولي — اعداد جيش انكليزي فرنساوي لمهاجمة قلاع الدردنيل من جهتي البر والبحر

ولنرجع الان الى الدردنيل الذي عليه عقدت الآمال فقد مرَّ على اساطيل الحلفاء نحو شهرين وهي تقذف بقنابلها على معاقله فهدمت كما ذكرنا بعضها ولكنها خسرت عددًا من دوارعها بالالغام وبمدافع الحصون التي كان يدير حركتها الالمان

وكانت وزارة فنزيلوس قد اتفقت مع الحلفاء على امدادهم بجيش يوناني ينزلونه في شبه جزيرة غليبولي فلما اتى الوقت وطلب الحلفاء من الوزارة اليونانية القيام بالوعد نهض حزب ملك اليونان واحبط هذه الفكرة واسقط وزارة فنزيلوس . وهذا ما دعا الحلفاء الى اعداد جيش منهم فانزلوه في غليبولي في ٢٦ نيسان « ابريل » واخذوا يهاجمون قلاع الدردنيل من جهة البر والبحر . على ان الاتراك استقتلوا في المدافعة عن حوضهم . وكثرت الخسائر من الجانبين . وهنا ادرك السوريون ان الاستيلاء على الدردنيل

ودخول عاصمة الاتراك ليس من الهنات الهينات . فأنَّ من دون تلك المعاقل هز الرماح وكل ليثٍ كاسر .



ملك ايطاليا — فيكتور عمانوئيل

دخول ايطاليا المعمعة

المطالبة باملاكها التي اغتصبتها منها النمسا في الماضي — شهرها الحرب على النمسا قبل انتظار الجواب — آمال جديدة للسوريين من دخول ايطاليا — شدة الالمان الحربية خيبت الآمال — اصبحت سوريا بعد دخول ايطاليا الحرب منقطعة عن الغرب — انتشار الجراد — تفشي الامراض — تكاثر المتسولين — نقل الوالي بكر سامي بك من بيروت وارسال عزمي بك مكانه

كانت انكلترا في هـذه المدة تسعى بواسطة السياسي الداهيـة السر ادورد غراي لجر ايطاليا الى حزبها . وما لبثت حتى بدت تباشير فوز السياسة الانكليزية . فايطاليا حليفة المانيا والنمسا لم تكتف بالوقوف على

الحياد بل اعلنت في الثاني من ايار « مايو » سنة ١٩١٥ انسحابها من المحالفة الثلاثية ثم قدمت لائحة تطلب فيها من النمسا المطالب الاتية :

١ – اعطاءها اعطاء مطلقاً مقاطعة « ترانت » ومن ضمنها « بوزن » في التيرول

٢ – تصحيح حدود « سوزو » على ان تدخل فيها غورتز وغرانتاكي ومونفالكو

٣ – جعل « تريستا » وما اولاها جمهورية مستقلة

٤ – الاعتراف بسيادة ايطاليا المطلقة على فالونا وما يتبعها من البلاد وضمنها مدينة « سيزاكو »

٥ – ان تتخلى النمسا تخلياً تاماً عن البانيا

ولم يكن بالامر السهل على النمسا ان تسلّم بهذه المطالب حالاً فاخذت تتفاوض بشأنها مع حليفتها المانيا – وقبل انتهاء المفاوضة شهرت ايطاليا الحرب على النمسا في الثالث والعشرين من ايار « مايو » فقطعت جهيزة قول كل خطيب

وحقيقة الامر ان ايطاليا كانت قد صممت النية على استرجاع املاكها التي تحسب ان النمساويين اغتصبوها منها في الماضي فاغتنمت فرصة هذه الحرب العامة وطالبت النمسا بما تدعيه من المطالب التي ذكرناها في اللائحة المارّة وقد حسبت ان النمسا ترفضها حالاً فتعلن عليها الحرب – ولكن لما رأت ايطاليا ان المانيا والنمسا تتفاوضان في الامر وربما سلمتا باعطاء المطالب لها خافت من الوقوع في مشكل مستقبل – فخطر لها ان الحرب لا بدّ ان يفوز فيها احد الشطرين . فأن فاز الالمان

والنمساويون رجعوا الى ايطاليا وناقشوها الحساب والزموها بارجاع ما سلبت من النمساويين بل ربما جازوها باخذ غرامة – واذا فاز الحلفاء رجعوا يوم تقسيم الغنائم على ايطاليا مدعين انها انما نالت ما نالته من النمسا بقوتهم لا بقوتها . فلا تكون في مأمن على ما ملكت وعليه رأت اراحةً لضميرها السياسي ان تشهر الحرب على النمسا قبل ان تنتظر الجواب ولما بلغها بعد ذلك ان النمسا تسلم بما طلبت بدون حرب قالت سبق السيف العذل

آمال جديدة للسوريين من دخول ايطاليا

السوريون بل العرب جميعهم من مسلمين ومسيحيين لا ناقة لهم في هذه الحرب ولا جمل . وغاية ما كانوا يطلبونه حكومة عادلة تضرب الامن في البلاد وترفع الضرائب الباهظة عن عواتق العباد . فلما زجت تركيا نفسها في الحرب هالهم الامر لعلمهم ان التكاليف والنكبات تقع عليهم مكرهين . فرجالهم تساق الى الحرب واموالهم تسلب منهم وارزاقهم تصادر كل ذلك لغايات لا يريدونها ولا توافق مصالحهم وهم غير قادرين على دفع غطرسة اسيادهم الا بالصبر والامل

ففي بداءة الحرب عللوا انفسهم بقصر مدتها . ولما دخلت الدولة العثمانية عللوا انفسهم بقرب احتلال شواطئهم وانقاذهم من الفادحات الحاضرة والمستقبلة ثم لما طال الامر ويئسوا من الاحتلال العاجل اخذوا ينشدون الفرج مما تأتيه الاقدار . فلما هاجم الحلفاء الدردنيل عاش في السوريين ميت الامال وقالوا قربت نهاية الدولة لان الدردنيل لا يستطيع مقاومة اساطيل الحلفاء طويلاً فتسقط قلاعه ويدخل الانكليز والفرنساويون الى الاستانة ويحلون الجيش التركي ويضربون على الباب العالي الذل

والمسكنة فترتاح الرعية من الشرور الحاضرة والمقبلة الا ان حساب الحقلة لم ينطبق على حساب البيدر فمر عدة اشهر والمواقع محتدمة على ابواب الدردنيل وفي شبه جزيرة غليبولي والخسائر عظيمة من الجانبين وكانت اخبار اليونان لا تبشر بحسن الحال لان الملك وحزبه كما المعنا كان ميالاً الى الدول الوسطى وفنزيلوس وحزبه كان من مناصري الحلفاء — فلما دخلت دولة ايطاليا المعممة في الثالث والعشرين من ايار (مايو) عن جانب الحلفاء عادت آمال السوريين تتشدد وقالوا انها ستنقض على النمسا فيشتد الحلفاء على المانيا منفردة فيهاجمها الفرنساويون والانكليز من الغرب والروس من الشرق وفي اسابيع قليلة تضع الحرب اوزارها ويرتاح العالم من مصايبها واهوالها

شدة الالمان الحربية خيبت الآمال

اما المانيا فادركت فوز اخصامها عليها سياسياً من حيث سحب ايطاليا من الاتحاد الثلاثي وشهرها الحرب على حليفتها النمسا فارادت ان تعوض عن خسارتها السياسية ببأسها الحربي فارسلت قوة انجدت فيها النمسا على روسيا فلم تمر مدة طويلة حتى طردت الروس من سهول المجر ومن مضائق جبال الكارابات ومن غاليسيه فتفرغ عندئذٍ النمساويون لمناجزة التليان وادرك العالم ان دخول ايطاليا الحرب لم يكن بالدواء الشافي لتقصيرها وان في المانيا قوة حربية وعندها استعداد تستطيع ان تقف في وجوه اخصامها مهما تكاثروا عليها

سبب استياء الاتراك من السوريين

اصبحت سوريا بعد دخول ايطاليا الحرب منقطعة عن الغرب تمام

الانقطاع فان بعض المراكب التليانية التي كنا نستأنس بها انقطع مجيئها وتوقف ارسال المساعدات المالية من السوريين في امركا الى اهلهم وكان الجراد قد انتشر في البلاد وتصاعدت اسعار الحاجيات وبدأت تتعاظم المصائب من جراء الضرائب العسكرية والخدمة الاجبارية وفشت الامراض واخذ جيش المتسولين يتزايد وعبس الزمان واشتدت نكبات الايام على السوريين واشد تلك النكبات هو استياء اسيادهم الاتراك

وسبب ذلك ان الاتراك بعد نكبتهم الاخيرة في حرب التليان ثم حرب البلقان نهض فريق من السوريين يطالبون الاصلاح عن طريق اللامركزية او الاستقلال الاداري وحجتهم في ذلك ان الدولة العثمانية اصبحت في دور انحطاط متواصل فازدادت نفقاتها الحربية للمدافعة عن حدودها . وكانت ولايات تركيا في ما مضى عديدة تستطيع تحمُّل الاعباء اما الان فقد انسلخ عنها عدد كبير من ولاياتها فصار على الولايات الباقية ان تقوم بتلك النفقات وهذا ما لا طاقة لها به فرأت ان تطالب باللامركزية بحيث يصبح الحق لكل ولاية ان تنفق دخلها على نفسها واستعان المطالبون في تنفيذ مطاليبهم هذه بكل من فرنسا وانكلترا وروسيا وكثر التردد على قنصليات هذه الدول الثلاث واخذت الدولة العثمانية تسكن ثائر السوريين بالوعد في اجراء الاصلاح ولكنها كانت في سرها مستاءة من هذه الحركة اشد الاستياء

فلما شبَّت شعلة الحرب الكونية انحازت الى جانب المانيا وبدأت تستعد لصب جامات نقمتها على رؤوس مقلقي راحتها . فاستولت كما ذكرنا آنفاً على ما وجدته من اوراق بعض قنصليات الدول المعادية والقت

القبض على من بقي من رعاياهم

ثم اخذت توقف المتهمين بالحركة العربية واللامركزية فخاف الناس عموماً وشرعوا يتساءلون عما سيكون وكان في هذه المدة قد نقل الوالي بكر سامي بك من بيروت وارسل مكانه الوالي عزمي بك

حوادث صيف سنة ١٩١٥

تعيين علي منيف بك بدلاً من اوهانس باشا — احتلال جزيرة ارواد — وابعاد بعض المسيحيين عن الشاطيء — اعدام احد عشر شخصاً من المسلمين في بيروت

كانت حوادث هذا الصيف متعددة . منها ان علي منيف بك عين متصرفاً للبنان بدلاً من اوهانس باشا وكان وصوله الى الجبل في العشرين من ايلول . ومنها ان قوّة فرنساوية احتلت جزيرة ارواد فأخذ الاتراك بابعاد آل عرنوق وغيرهم من المسيحيين عن الشاطئ خوفاً من حدوث اتصال بينهم وبين القوّة الفرنساوية في الجزيرة . ومن الحوادث التي حدثت في صيف سنة ١٩١٥ اعدام احد عشر شخصاً [١] في بيروت بسبب المسألة العربية وكان ذلك في منتصف آب وقد انقضّ ذلك الخبر على الناس انقضاض الصاعقة . واجتمع عدد ذلك النهار يتحدثون بهذا الامر حاسبينه مقدمة لحوادث مخيفة . فأن الحكومة كانت قد اعدمت قبلاً بعض الاشخاص ولكن شنق احدعشر شخصاً من ادباء المسلمين في يوم واحد لم يكن في الحسبان

(١) وهم (١) عبد الكريم الخليل (٢) صالح حيدر (٣) مسلم عابدين (٤) نايف تللو (٥) محمد المحمصاني (٦) محمود المحمصاني (٧) عبد القادر خرسا (٨) محمود العجم (٩) سليم عبد الهادي (١٠) نور الدين القاضي (١١) علي الارمنازي

دخول بلغاريا في جانب المانيا

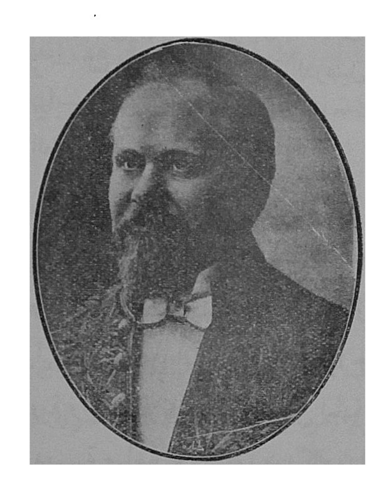
دخول بلغاريا — العدول عن مهاجمة الدردنيل — اعلان بلغاريا الحرب على سربيا — دخول مناستر — العدول عن مهاجمة الدردنيل — ارسال حملة الى سلانيك — سحق سربيا — اتصال المانيا والنمسا بتركيا — عزمي بك يهدم ابنية بيروت — بداءة ازمات الطحين — ازدياد عدد المتسولين

مرَّ مدة والساسة في اوروبا يتبارزون على ادخال بلغاريا في المعمعة الكونية . كل فريق يحاول ادخالها في جانبه واعداً اياها وعوداً جميلة فانتصرت المانيا في هذه المعركة السياسية . فان بلغاريا اعلنت في الثاني عشر من تشرين الاول سنة ١٩١٥ الحرب على سربيا وهاجمتها من جهةٍ بينما العساكر النمساوية والالمانية كانت تهاجمها من الجهة الثانية فتمكنوا من سحقها ودخلوا مدينة مناستر في الثاني من كانون الاول « ديسمبر » وهذا لا شك جعل للحرب وجهة ثانية

العدول عن مهاجمة الدردنيل

ان الانكليز والفرنساويين بدأوا منذ التاسع عشر من شباط سنة ١٩١٥ بمهاجمة مضايق الاستانة وبعد معارك شديدة بين مدافع بوارجهم وقلاع الدردنيل انزل الانكليز حمله برية في شبه جزيرة غليبولي وفي السادس عشر من نيسان اخذوا بمهاجمة القلاع تحت حماية اسطولهم واستبسل الاتراك والالمان في المدافعة عن ابواب الاستانة — فلما فاز الالمان وحلفاؤهم بادخال بلغاريا عن جانبهم وانقضوا على السرب التزم الحلفاء ان يعدلوا عن مهاجمة الدردنيل بعد ان مرَّ عليهم نحو ثمانية اشهر في ذلك العراك وشرعوا في الخامس من تشرين الاول بانزال حملة في سلانيك « باذن

من اليونانيين » تحت قيادة الجنرال ساراي الفرنساوي فان اتصال الالمان



المسيو بوانكاره — رئيس الجمهورية الفرنسوية اثناء الحرب

والنمساويين بحلفائهم البلغاريين والاتراك هدد سلانيك فخاف الحلفاء من استيلاء الالمان على ذلك الثغر وجعله قاعدة لغواصاتهم فيعكرون بها صفو البحر المتوسط الذي كان تحت سيطرة فرنسا وانكلترا

ان المانيا صوبت قواها في هذه الحرب الى ثلاث نقاط (١) سحق فرنسا (٢) سحق روسيا (٣) سحق سربيا لجعل اتصال بين الالمان وبين تركيا لتتمكن من مهاجمة الانكليز في مصر . اما روسيا وفرنسا فمرّ على الحرب اكثر من سنة ولم يتهيأ لالمانيا سحقهما . واما السرب فقد فازت المانيا بامنيتها منها فداستها وجعلت اتصالاً بينها وبين حلفائها في الشرق وفي هذا الامر كان لالمانيا الميزة على اعدائها الذين مرّ عليهم شهور عديدة

يهاجمون الدردنيل لخرقه قصد الاتصال بحليفتهم روسيا فلم يتمكنوا . على ان السوريين اوجسوا خيفةً من اتصال المانيا والنمسا بتركيا لانهم حسبوا ان هذا الاتصال يجعل المواد الغذائية القليلة في سورية تتسرب الى النمسا والمانيا

عزمي بك وهدم الشوارع

ومرّ تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول من سنة ١٩١٥ والنكبات والمصائب تتزايد وكان عزمي بك الوالي قد شرع بهدم الابنية في بيروت وتوسيع الشوارع فكنت تسمع وقع المعاول وسقوط الجدران في كل مكان وكل ما اتى في الطريق من كنائس وجوامع ومقامات اولياء هدموه . ومهما يكن من هدم ابنية المدينة من الاضرار على المالكين والمستأجرين فان الفوائد العمومية من ذلك لا تنكر . فقد سقطت الابنية القديمة واتسعت الازقة القذرة الضيقة وتعرضت للهواء ونور الشمس وانفتح باب الشغل لكثير من العملة البطالين والتهى الناس نوعاً عن الاشتغال في السياسة . وهذا لا يتهيأ لسلطة ان تفعله في ايام السلم

قال احد المهندسين السوريين ان هدم الابنية القديمة في بيروت كان من اعظم الامور التي جرت في سورية فانه هُدم ما تقدر قيمته بمليون ليرة ذهبية

ازمات الطحين

في اواخر سنة ١٩١٥ بدأت تظهر للوجود ازمات الطحين واخذ الوارد الى بيروت ولبنان يتناقص فتخوّف الناس من انقطاعه بتاتاً فشرع الموسرون يتلقفون ما يستطيعون من المواد الغذائية محترصين عليها لايام

الشدة ومع كل ما نشره الوالي عزمي بك من المناشير تهدئةً لافكار الناس من هذا القبيل ظل الناس غير واثقين بمواعيد الحكومة لان سكان لبنان والسواحل كانوا تحت رحمة السكة الحديدية التي كان عليها نقل الجنود والاعتاد الحربية في الدرجة الاولى ثم نقل الارزاق لبقية الناس عند سنوح الفرص

وكان المتسولون يزداد عددهم والموسرون تقل رحمتهم لانهم خافوا اذا جادوا بما لديهم لا يحصلون على غيره اذ الوارد من الاقوات كان اقل من حاجة السكان

سير الحوادث عموماً سنة ١٩١٥

الساحة الغربية في اوروبا — اعتزال الجنرال فرنش الانكليزي — الساحة الشرقية في اوروبا — سقوط لمبرغ بايدي الروس — سقوط برزميسل ايضاً — قطع جبال الكارابات — معركة دونا جيك وتقهقر الروس — ساحة العراق — استيلاء الانكليز على كوت الاماره — التقدم الى مدائن كسرى — تقهقر الجنرال طونزندا الانكليزي وحصره في كوت الامارة — ساحة سينا ومد سكة حديدية فيها — ساحة المستعمرات — احتلال الجنرال بوتا مدينة فندهوك — تدويخ المستعمرة الالمانية في جنوب افريقيا — معارك البحار — موقعة في البحر الشمالي بين اسطول انكلترا والمانيا — اغراق الطراد بلوخر الالماني — حصر الغواصات الالمانية للجزائر البريطانية — اغراق لوزيتانيا الانكليزية وعليها عدد من الاميركان

عند كلامنا فيما مرّ عن الحوادث الخصوصية التي جرت في بلادنا ساقنا الكلام الى ذكر ما جرى في ساحات الدردنيل والبلقان ومقدمة سيناء. والان نتقدم الى اجمال الحوادث التي جرت في بقية الساحات الحربية

الساحة الغربية في اوروبا

تركنا في اواخر سنة ١٩١٤ جيوش الحلفاء والجيوش الالمانية تجاه بعضها البعض في شمالي فرنسا وقد اعتصم كل فريق في خنادقه ووراء استحكاماته. ومرّت سنة ١٩١٥ والمعارك في تلك الساحة متواصلة الا ان تلك المعارك مع شدتها وكثرة الخسائر من الجانبين فيها لم تكن فاصلة. فان ربح الكيلو متر الواحد من الارض كان يكلف الخصمين الوفاً من الرجال. وكان الالمان يحاولون الاستيلاء على (كاله) والانكليز يستبسلون في صدهم عنها لانها اقرب نقطة في فرنسا الى جزيرة بريطانيا. وفي الخامس

عشر من كانون الاول « ديسمبر » اعتزل الجنرال الانكليزي فرنش القيادة في هذه الساحة وحل محله المارشال هايج

الساحة الشرقية في اوروبا

ذكرنا ان الروس اشتدوا منذ البداءة على النمساويين واستولوا على لمبرغ عاصمة غاليسيا ثم حاصروا برزميسل واسقطوها بين السابع عشر والثاني والعشرين من آذار « مارس » سنة ١٩١٥ وقطعوا معابر جبال الكارابات واشرفوا على سهول المجر . فلما نزلت ايطاليا ضد النمسا خافت المانيا على حليفتها لانها اصبحت بين قوتي الروس والتليان فرأت ان تسرع الى نجدتها فارسلت قوة ضد الجيش الروسي الذي كان يوغل في بلاد النمسا والمجر واصلته نارا حامية في معركة « دوناجيك » التي بدأت في الثاني من ايار « مايو » سنة ١٩١٥ فاخذ الروس يتقهقرون امام الجيوش الالمانية والنمساية فخسروا بهذا الانحدار ما كسبوه في تسعة اشهر

ساحة العراق

بعد ان احتل الانكليز في الحادي والعشرين من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩١٤ مدينة البصرة اخذوا يواصلون زحفهم شمالاً وفي الثالث من حزيران « يونيو » سنة ١٩١٥ استولوا على كوت الامارة واستمروا متقدمين الى الامام حتى بلغوا « تسيفون مدائن كسرى . وهنالك تكاثرت عليهم القوة التركية فتقهقر الجنرال طوزندا الانكليزي بجيشه الى كوت الامارة فحصره الاتراك فيها وقطعوا عنه المدد الا ما كان يرمى اليه من المآكل بواسطة الطيارات الانكليزية

عودٌ الى ساحة سينا

هذه الساحة تمتد من ترعة السويس الى فلسطين وقد مرَّ معنا ان جمال باشا بمساعدة القيادة الالمانية تمكن من ايصال جيش مؤلف من اثني عشر الف مقاتل الى الترعة في الثاني من شباط سنة ١٩١٥ ولما حاول هذا الجيش العبور ليلاً الى ارض مصر ضربه الانكليز بالمدرعات والسيارات المصفحة فاندحر تاركاً قتلاه ومنذ ذلك الحين اخذ الاتراك والالمان يستعدون او يتظاهرون بالاستعداد لمهاجمة ترعة السويس وقد رأوا ان اهم شيء للوصول الى مصر هو بناء سكة حديدية في صحراء سينا وبناء عليه اخذوا يخرجون فكرتهم هذه من حيز القول الى حيز الفعل وذلك بتسخير الوف من الرجال السوريين للعمل في تمهيد وتعبيد طريق تلك السكة وفي حفر الابار وغير ذلك من الاعمال الشاقة .

ساحة المستعمرات

اما في المستعمرات فان الحرب كانت سنة ١٩١٥ دائرة في جنوب افريقية بين الانكليز والالمان ففي الثاني عشر من ايار « مايو » احتل الجنرال بوثا مدينة فندهوك عاصمة المستعمرة الالمانية - وما زالت المعارك ناشبة حتى تهيأ للانكليز تمام تدويخ المستعمرات الالمانية في جنوب افريقيا وذلك بين التاسع والخامس عشر من تموز « يوليو » سنة ١٩١٥

معارك البحار سنة ١٩١٥

في الرابع والعشرين من كانون الثاني « يناير » حدثت معركة في البحر الشمالي بين الاسطول الانكليزي والاسطول الالماني فالجأ الاول

الثاني الى الهرب بعد ان اغرق منه الطراد « بلوخر »



اللورد كتشنر — وزير حربية انكلترا
الذي غرق مع الدارعة نيوهمبشير

وفي الثامن عشر من شباط ابتدأ حصار الغواصات الالمانية للجزائر البريطانية وفي السابع من ايار « مايو » أغرقت بالقرب من شاطىء ارلندا الباخرة الانكليزية لوزيتانيا بغواصة المانية وكانت هذه الباخرة التجارية من اهم البواخر الانكليزية وعليها عدد من الاميركان فاخذت حكومة الولايات المتحدة تبرق وترعد محتجة على هـذا العمل وبدأ الرأي العام الاميركي يزداد نفوراً من خطة الالمان وكانت انكلترا تبذل غاية جهدها في توسيع الخرق حتى يتسنى لها ادخال الولايات المتحدة عن جانبها فتضمن عندئذٍ الفوز للحلفاء . لان استعداد المانيا الحربي كان عظيماً

فصلٌ

في حوادث سنة ١٩١٦

اشتداد ازمات الاقوات — قلة وسائل جلب الدقيق من الداخل الى الساحل — منع البيع بالشوال — تعهد الحكومة تقديم الدقيق للافران وتوزيع الخبز على السكان — فشل هذا المشروع — منع التموين جملةً واستخفاف الاهلين باوامر المنع — اقسام الشعب الثلاثة الموسرون والمعسرون والمتسولون — مهربو الاقوات من الداخل الى الساحل — الطبقة الوسطى بذلت جهدها في اغاثة الجياع واما الاغنياء فأوصدوا ابوابهم

سير الحوادث في بلادنا

مرّ معنا ان ازمات الطحين في بيروت ولبنان بدأت تظهر في اواخر سنة ١٩١٥ ثم اخذت في الاشتداد سنة ١٩١٦ فأوجس الناس خيفةً من شر العواقب فاصدر الوالي عزمي بك منشوراً يسكّن فيه روع الاهلين بوعده اياهم انه سيبذل جهده في تأمين بيروت على اقواتها وسافر مع متصرف لبنان الى دمشق فحلب سعياً وراء الحصول على ما يكفي السكان من الحبوب ولكنه لم يفز بالمرغوب ليس لقلة الحبوب في الداخلية بل لضعف وسائل النقل

فان معظم اعتماد لبنان وبيروت في نقل اقواتهم من الداخلية كان على السكة الحديدية وهذه مع قلة الوقيد وضيق الخط وصعوبة المرتقى في عقبات الجبال ومهاجمات الثلوج وتقادم عهد الالات كان عليها ان تقوم اولاً بنقل الجنود والمهمات الحربية وبعد ذلك تنظر في جلب الاقوات الى ابناء الساحل وعليه فحق لمدينة كبيروت ان يستولي الخوف على سكانها

لانهم كانوا يعلمون يومياً ان الوارد بواسطة السكة الحديدية من الاقوات الضرورية كان اقل من المقطوعية . والجمال والبغال التي كان يرجع اليها الناس عند اشتداد النوائب اصبحت مأسورة في يد القوة العسكرية . والبحر لا امل بالفرج منه لان بوارج الحلفاء وقفت امام الشاطىء حراساً تمنع كل خير قادم الى سورية

نعم ان بعض تجار الحبوب في بيروت ولبنان كان لديهم كميات مذخورة ولكن هذه الكميات كانت مجهولة المقدار فضلاً عن ان اولئك التجار لم يذخروها رحمة بالعباد بل كانوا يتحينون اشتداد الازمة وشدة الحاجة ليخنقوا المساكين والبائسين بفاحش اسعارهم دون ان يردعهم امير او ضمير . هذه الاسباب التي قدمناها جعلت سكان الشاطىء الفينيقي يحسبون الف حساب لما ستلده الايام

ومما زاد اضطراب البال هو ان الحكومة عند ما رأت الطلب على الدقيق اكثر من الوارد منه منعت بيعه بالشوال وعينت حوانيت للبيع بالرطل بسعر ربع ريال مجيدي وهو ثمن معتدل لا غبار عليه فازدحم الشارون على ابواب تلك الحوانيت يتلقفون ما تصل اليه ايديهم ولما كان الموجود اقل من المطلوب ضج الناس فرأت الحكومة ان تمنع بيع الدقيق بتاتاً وتعهدت هي بتسليم الافران ما يكفي المدينة يومياً ليخبز ويوزع على السكان بواسطة لجان عينتها في احياء المدينة وكلفت ارباب البيوت بتقييد افراد عيالهم مع اعمارهم في دفاتر يصادق عليها المختارون لينال كل واحدٍ نصيبه المعين

وشرعت الافران تقدم (جرايات) الخبز الجيدة الكافية على سعر

الرطل ستة غروش كية ترصاغ . فتفاءل الناس خيراً وقالوا انها لطريقة المانية تؤمن الشعب على قوته . غير ان هذه الخطة الجميلة ما لبثت طويلاً حتى بدأ التشويش فيها . اولاً بغش الدقيق وثانياً بتقليل كمية (الجرايات) . فان العائلة التي كان يصيبها يومياً في الاسبوع الاول رطلٌ من الخبز الجيد اصبحت لا تنال في يومها من الاسبوع الثاني ربع رطل من الخبز الاسود والازرق لان الدقيق الذي سلم للافران اصبح مزيجاً من الشعير والكرسنه والباقية والترمس والزوان والتراب وهلمَّ جرًّا . ومن يا ترى كان يتلاعب في اقوات العباد على هـذا الاسلوب . ذلك امرٌ لا نستطيع تعيينه تماماً . وانما نقول ان أبالسة الطمع كانوا في هذه الشركة الشيطانية كثاراً منهم تجار وملتزمون ومأمورون وشحنة ومختارون وهلمَّ جرًّا . كلهم اتفقوا على ارتكاب هذه الجناية طمعاً بجر المنافع ولو مات الالوف . فهم قتلة لا محالة

على انه فوق ما صارت اليه فريضة الخبز من النزارة وغش المادة فان الوصول اليها كان اعز من جبهة الاسد لان الذين وكل اليهم امرها من ارباب الافران كان اكثرهم من (الاجلاف) الاخشان في الفاظهم ومعاملاتهم ففضل البعض الجوع على استلام تلك الفريضـة من ايدي اولئك المستبدين الذين كانوا يتحكمون في رقاب العباد ايما تحكم

ظهر مما تقدم ان الحكومة العثمانية حاولت سنة ١٩١٦ ان تؤمن الشعب على قوته الضروري باسعار متهاودة يستطيع احتمالها على نوع ما . ولكنها فشلت لاسباب منها سوء وسائل النقل من الداخليـة وعدم الاستقامة في التوزيع وجشع الموكلين على قوت العباد وغشهم للدقيق

وغير ذلك من الامور التي قصرت الحكومة في ضبطها

الاان الحكومة مع عجزها الواضح يومئذ عن تقديم الاقوات للشعب باسعارها وايقاف تجار الضروريات عن رفع اسعارهم فانها ما فتئت تصدر اوامرها بمنع التموين جملةً مهددة الناس بتفتيش منازلهم ومصادرة ما تجده زائداً عن مونة شهر وتسليم المخالفين لديوان الحرب

ولكن الشعب استخف بتلك الاوامر الغير المعقولة ولسان حاله يقول (انا الغريق فما خوفي من البلل) فعمد القادرون على ابتياع ما تصل اليه ايديهم من الذخائر والمؤن من اي المصادر الممكنة مهما كلفهم ذلك من النفقات غير مبالين بتهديد الحكومة ووعيدها . وتسهيلاً لادراك الموقف الذي كانت فيه سورية سنة ١٩١٦ نقسم السكان الى ثلاثة اقسام وهم — (١) الموسرون (٢) المعسرون (٣) المتسولون

اما الموسرون فهم الذين كانت لهم بسطة من العيش تمكنهم من ابتياع حاجاتهم بالجملة لمدة سنة على الاقل . هؤلاء هم ارباب المتاجر والمزارع والمناصب الممتازة ولا شك ان يسرهم حماهم من ان ينالهم المحتكرون بسوء كبير لانهم كانوا قادرين ان يبتاعوا مونتهم بالجملة في مواسمها هذا فضلاً عن ان نفوذهم مكنهم من تحصيل وثائق واستلام ارزاق من الحكومة باسعار متهاودة او بدون اسعار « ومن له يعطى ويزاد »

اما المعسرون ونعني بهم الطبقة المتوسطة التي لم يكن في مكنتها زمن الحرب ابتياع حاجاتها بالجملة فهذه تمكن المحتكرون من رقاب اهلها فاخذوا يشدون حول اعناقهم الخناق برفع الاسعار يومياً رفعاً فاحشاً دون وازع ولا رادع فأجبرت هـذه الطبقة على بيع ما ملكت يداها من

اثاث واواني وثياب بالبخس ا ثمن لعلها تتخلص من المجاعة الفاغرة فمها لابتلاعها

على ان هذه الفوضى الجارية في الاقوات الضرورية جعلت الحبوب تتسرب الى ساحل سوريه بطرق متنوعة لان الغلاء كما يقال (جلاب) فانبرى مئات من المكاريين في جنوب لبنان وشماليه يسيرون قوافل مسلحة الى الداخلية لتهريب القمح مخاطرين بارواحهم فانجدوا لبنان بإقدامهم وربحوا ارباحاً طائلة فوق جهدهم

اما الطبقة المتسولة وهي التي وجدت منذ بداءة الحرب لا سبدَ لاهلها ولا لبدَ فاخذوا يطوفون في الاسواق وعلى ابواب المنازل لعلهم يحصلون على ما يسدون به الرمق . ولا يخفى ان معيشة مثل هذه الطبقة في بلاد كسوريه لا ملاجئ عمومية فيها تتوقف بالاكثر على الطبقة الوسطى . وسبب ذلك ان معظم ارباب الغنى واليسار يوصدون عند اشتداد النكبة ابوابهم الحديدية ويقطعون اجراس الاستغاثة ويتحصنون في قصورهم العالية آمنين فلا يزعج نظرهم او يقلق مسامعهم مرأى وانين المتسولين . خلافاً للطبقة المتوسطه التي منازلها سهلة المنال وفي قلوب اهلها شيء من التدين والرحمة . هذه الطبقه استغاث بها المحتاجون فمدت اليهم يد المعونة على قدر امكانها مع ان اهلها كانوا على شفا جرفٍ هارٍ يتدهور منهم كل يوم عدد الى حضيض الفاقة والمسكنة

لبنان والمجاعة

كثرة المعسرين في جبل لبنان — وازدحام بيروت بالجياع — شر الميتات هو الموت جوعاً — كيف كانوا يستقبلون العظماء — كيف كانت اخبار السؤ تتوارد على الاسماع

اما جبل لبنان فقد كثر فيه المعسرون وسبب ذلك ضيق ارضه الزراعية وانقطاع المال الذي كان يرسل اليه من ابنائه المهاجرين وتوقف حركة الاعمال وامتناع المديون من دفع ما عليه للدائن وغير ذلك من الامور التي فاجأت الحرب بها الناس على حين غرّة

فلما اقبل شتاء سنة١٩١٦ واشتد البرد اعتصم الموسرون من اللبنانيين في اماكنهم • اما المعسرون فبعد ان فرغوا من بيع اشيائهم قصد قسم منهم الداخلية يطلبون تحصيل الاقوات من مخالب الافات . وقسم ظلوا في قراهم يستقبلون الموت تحت سقوف منازلهم . وقسم هبط الى الساحل فاصاب مدينة بيروت منهم نصيب كبير فانضموا الى متسوليها واصبحوا جيشاً كبيراً . وقد كانوا طبقتين

الاولى : هم الذين كان لم يزل فيهم شيء من النشاط مكنهم من ان يطوفوا على ابواب المخازن والمنازل للاستعطاء وكانوا يبحثون في الدمن والمزابل لعلهم يعثرون على ما يشغلون به المعد الفارغة من قشور الموز والبطاطه والليمون والواح الصبير وغير ذلك . وكان بعضهم يقصدون الجيف المنتنة للالتهام منها

اما القسم الثاني : فهم الذين خارت قواهم من شدة ما عانوا من سوء المعيشة والجوع فانطرحوا على جوانب الشوارع يستنجدون بكلمات تفتت الاكباد . بل بعضهم لم يبق فيهم الضعف قوة لرفع اصواتهم فكانوا

يستغيثون بعيونهم الذليلة وهم منطرحون في الطرقات على ان اشد منظر على النفس كان منظر الاطفال المتلوين جوعاً على احضان امهاتهم الساقطات من شدة الضعف والهزال ويا لله من تلك الهيئات المخيفة !

كنا سنة ١٩١٥ اذا شاهدنا جائعاً واقعاً يزدحم حوله جمهور من المنجدين بعضهم ياتون له بالماء والبعض بالطعام والبعض بالدراهم . وامسينا سنة ١٩١٦ نسير في الشوارع وعن الجانبين الرجال والنساء والاطفال لاصقون في الاوحال يئنون طالبين اظهار الرحمة ولو بكسرة خبز وكان المارة يسيرون وسط تلك المناحة التي ربما لم يشهدها تاريخ سورية . يمرون وقلما يمدون ايديهم للاغاثة لان الفادحة كبرت على الناس فاندحروا امامها وكثر عدد المحتاجين حتى لم يعد في الاستطاعة انجادهم . وكان غاية ما يفعله رقيقو الشعور انهم في مرورهم يسترون وجوههم ويسدون آذانهم حتى لا يسمعوا ولا يشاهدوا — بعض هؤلاء الساقطين على جوانب الطرقات كانوا منذ مدة قصيرة عائشين في رغد وهنا . بعضهم كانوا يتعلمون في المدارس فدهمتهم الحرب فتوقفت اسباب معيشتهم ومات اهلهم او سيق اباؤهم واخوانهم الى الساحات العسكرية وتركوا بدون معين . واخذ الموت يجرف منهم مئات كل يوم

اواه ! اين الصبيان الذين كانوا يلعبون ويصيحون في ازقة القرى والمدن . زالت الافراح وأستبدلت بانّات الاتراحِ والاحزانِ المتواصلة . وصدق على البلاد ما جاء في مراثي ارميا « ان الذين كانوا ياكلون المآكل الفاخرة سقطوا في الشوارع . الذين كانوا يتربون على القرمز احتضنوا المزابل . صارت صورتهم اشد ظلاماً من السواد . لصق جلدهم بعظمهم »

صار يابساً كالخشب . جلودهم اسمرت كسور من شدة نيران الجوع .
الاطفال تسكب انفسهم في احضان امهاتهم

ولا شك ان الميتات على انواعها خبيثة ولكن شر الميتات على ما ارى هو الموت جوعاً . فان الذين يموتون في ساحات الوغى متحمسين يموتون بشرف وعزة نفس واما الذين يموتون جوعاً فيموتون بانحطاط وذلة . ومن العجب ان جياع سورية ولبنان كانوا يتضورون واطباق الخبز والماكل حولهم وهم لا يجسرون على مد ايديهم الى خطف رغيف كانما المذلة والمسكنة ضُربتا عليهم . فالبسوا لباس الجوع والخوف والضعف

ان النفوس ماتت ولم يكن هنالك من زعماء للقيام بثورة او للاتحاد على مهاجمة الطعام . والثوره لا بد لها من خطة سابقة قبل وقوع النكبة وهذا الامر ينقص السوريين وللتربية شأن كبير

كيف كانوا يستقبلون العظماء

كان في تلك الايام إذا قدم زائرٌ ذو شأن الى بيروت يجمعون الجياع والبائسين في (خانات) المدينة – فانه عندما زار انور باشا بيروت لاول مرة في عشرين شباط من سنة ١٩١٦ مع بعض القواد الالمان صدرت اوامر عزمي بك تكلف سكان المدينة باعداد زينة وقد عُين فيها طول الرايات وعرضها – وكان ذلك اليوم ماطراً فدخل انور وجمال والقواد الالمان راكبين العربات والسيارات والشعب يهتف لهم والجياع محصورون في مخابئهم لكي لا يزعجوا الضيوف برآهم . وكأنك بالحكومة حاولت بذلك ان تغطي (السموات بالقبوات) – وكم من جموع يموتون لكي يلمع بعض افراد في التاريخ وهذا شرٌ من الشرور التي تحت الشمس

وفوق ما كانت عليه حالة البلاد من ذل المجاعة وشدة التعاسة فان اخبار السوء كانت تتوارد تترى على المسامع وكان باعة الجرائد يقلقون المسامع بالمناداة قائلين – النمرة الفلانية مطلوبة للعسكرية – الحكم على فلان وفلان بالابعاد – شنق فلان وفلان – والقاء القبض على اعضاء الجمعية الفلانية . وهلمَّ جرًّا من تلك الاخبار المزعجة التي كانت تزيد الآم النفوس

وكان يومئذٍ عدد من وجهاء البلاد وادبائها في السجن يحاكمون في ديوان عاليه العسكري بتهم متنوعة

تعليق المشانق في ٦ ايار

شنق ٢١ شخصاً في يوم واحد – الابعاد بدون محاكمة – تنوع الامراض واشتدادها – بعض القرى خسرت ثلث سكانها – الاوامر بسوق الجميع الى الحرب

قلما مرَّ اسبوع منذ دخلت تركيا الحرب الا واعدم فيه بعض اشخاص بطرق متنوعة لاسباب مختلفة منها الاتهام بالتجسس ومنها الهرب من العسكرية وغير ذلك الا ان ٦ ايار سنة ١٩١٦ كان يوماً مخيفاً فقد اصبح معلقاً فيه عددٌ من وجهاء سوريا وادبائها لان المجلس العرفي حكم عليهم بتُهمٍ سياسية . منهم سبعة اعدموا في دمشق[1] واربعة عشر في بيروت[2] فهال الناس هذا الامر وتشددت روابط الاتحاد بين المسلمين

---

(١) وهم عبد الحميد الزهراوي – شفيق المؤيد – الامير عمر – شكري العسلي – عبد الوهاب الانكليزي – رشدي الشمعة – رفيق سلوم

(٢) وهم عمر حمد – محمد حسين الشنطي – عبد الغني العريسي – عارف الشهابي – توفيق البساط – سيف الدين الخطيب – الشيخ احمد طباره – سعيد عقل – باترو باولي – جورج موسى الحداد – سليم محمد سعيد الجزائري – علي

والمسيحيين لان نكبتهم كانت واحدة اذ الذين نفذ فيهم حكم الاعدام كانوا من الطائفتين . وعليه فلما شبت الثورة الحجازية في اوائل حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦ صبت اليها النفوس وكان السوريون يتنسمون اخبار تقدمها بشوق شديد لعل الفرج يأتيهم عن طريقها

الابعاد بدون محاكمة

مرّ على الحرب مدة طويلة والحكومة العثمانية في سورية تحاكم المتهمين في مجلسها العرفي فتحكم على بعضهم بالسجن وعلى البعض بالابعاد وعلى البعض بالاعدام والسوريون الفوا هذه الضربات غير انه في الحادي والثلاثين من اذار سنة ١٩١٦ قبضت الحكومة بغتةً في بيروت على عدد وابعدتهم دون محاكمة مع عيالهم الى الاناضول ولم تعلن ذنوبهم ثم القت القبض على عدد آخر وفعلت بهم كما فعلت بالاولين . وكان هؤلاء المبعدين من طبقات متنوعة منهم تجار ومنهم ارباب مناصب ومنهم اهل حرف بسيطة . ثم سمع ان ما فعلته في بيروت فعلته في عدة مدن ساحلية وداخلية فاستولى الخوف على العموم واخذوا يتهامسون زاعمين ان الحكومة العثمانية شرعت تغرب السوريين العرب عن بلادهم لتأتي باتراك مخلصين يحلون محلهم . وكانت قد وصلت قبلًا طلائع الارمن الى سورية بحالة يرثى لها فقال الناس انه سيصيب العرب من الاتراك ما اصاب الارمن . وسرت الهموم في النفوس ولا سيما في نفوس ارباب العيال

حاجي عمر — امين لطفي بن محمد حافظ — جلال سليم البخاري

ثم أعدم في بيروت في ٥ حزيران سنة ١٩١٦ الشيخ فيليب والشيخ فريد الخازن وكان قد اعدم يوسف الهاني في ٥ نيسان سنة ١٩١٥

الكبيرة لان ترحيلهم مع عيالهم صغاراً وكباراً يجر الى ويلات ومشقات

ويُقدر ان الذين غربتهم الحكومة من السوريين بلغوا نحو خمسين الفاً هؤلاء قذفتهم الى الاناضول فمات منهم نحو نصفهم . على انَّ بعض اولئك المنفيين صادفوا في الاناضول نجاحاً فرجعوا من منفاهم بثروات ولكن هؤلاء قليلون بالنسبة الى الذين جارت عليهم البلايا والنكبات

وجملة القول ان مفاجآت ايام الحرب كانت مخيفةً فكم ممن خرجوا من بيوتهم ولم يستطيعوا الرجوع اليها لاسباب قاهرة منها — مداهمة (الجاندرمة) اياهم وسوقهم الى جبهات الحرب . ومنها القاء القبض عليهم ونفيهم الى الداخلية لسوء ظن او وشاية . ومنها اصابتهم بقذائف البوارج والطيارات التي كانت تنتاب من وقت الى آخر سواحل سورية

وبعد ان كنا نستأنس بقدوم دوارع الحلفاء في بادىء الحرب اصبحنا نستعيذ من شرها وشر الطيارات التي كانت ترمي قذائفها على محل (السوقيات العسكرية) او على (الكمرك) او على ما تظنه خنادق — رمت احدى هذه الطيارات قنبلة على احدى المقابر في بيروت ففتحت حفرة محيط فوهتها اكثر من اربعين خطوة . وكأنك بالشرور قد حاصرت الناس من ورائهم وامامهم وفوقهم وتحت اقدامهم . وكانت تلك الايام من اشد الاوقات على السكان لان الانسان لم يكن يعرف متى ياتي دور بلائه وشقائه

القراطيس العثمانية

في الحادي عشر من نيسان سنة ١٩١٦ ادخلت الدولة العثمانية قراطيسها المالية واوجبت التعامل فيها وقد كان (البنك نوت) العثماني في الاسابيع الاول رائجاً قيمته قيمة الذهب . الا انه لم يمض شهر حتى اخذت الورقة العثمانية بالهبوط . على ان هذه العملة مع سيئاتها لم تخلُ من بعض الحسنات لان هبوط اسعارها المتواصل دفع الناس الى التحرك تجارياً فكان الذين بيدهم الورق يسعون للتخلص منه بابتياع بضائع او اثاث او ملك . وعندما تدهورت الورقة العثمانية كثيراً اخذ المديونون يغتنمون هذه الفرصة السانحة لتسديد ديونهم من هذه العملة فكم من عجّز سلموا البعض قبل الحرب ذهباً عيناً وارغموا على قبضه ورقاً بقيمة الذهب فضربت البلاد اكبر ضربة بضياع ثقة الناس بعضهم ببعض وكشفت الايام عن جوهر اشخاص كانوا يحسبون قبل الحرب ذهباً واذا هم اقل من نفاية الحديد من حيث الطمع والجشع وسوء المعاملة ولا شك ان هذه الحركة التي رام فيها البعض ابتلاع اموال غيرهم كانت من قبيل لحس المبرد اذ يسيل الدم من اللسان فيتوهم اللاحس انه نال شيئاً والحقيقة انه خسر من قوته وحياته . واي خسارة على البلاد اعظم من خسارة ثقة الناس بعضهم بعض — على انه لم تخلُ البلاد من افراد لمعوا وسط تلك الظلمة يسمو مبادئهم وحسن معاملاتهم

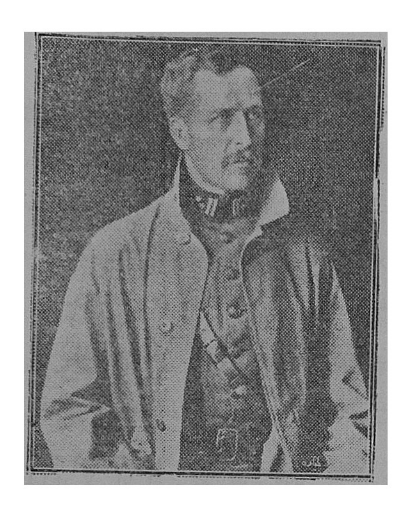
وقد دافعت الحكومة عن قراطيسها وبذلت جهدها في حفظ مكانة الورقة العثمانية بالتهديد والوعيد ولكن مساعيها ذهبت ادراج الرياح فكأنها كانت تسعى في رفع تلك العملة الى اسفل

الامراض وتعدد انواعها

فوق تلك النكبات التي ذكرناها كان على السكان ان يستقبلوا ضربات الامراض . فهاجمت البلاد جيوش من المكروبات بسبب المجاعة وسوء العيش . فانتشرت في المدن والارياف وبين الاغنياء والفقراء . الجدري والحصبة والملارية والدوزنطارية . والحمى الراجعة والتيفوس والتيفوئد . والجرب والقرع والهواء الاصفر وهلم جراً مما لا يدخل تحت حصر — ومن تقارير الكهنة وبعض الشيوخ علمنا ان بعض القرى خسرت ثلث اهلها بسبب المرض والجوع وبعض المزارع كادت تخلو من السكان

(وتأييداً لهذا اذكر ان المرسلين الاميركان اجروا بحثاً في احوال ابرشيتهم في صيدا ولبنان فنظروا في امر ١٨٢ قرية فوجدوا انه كان في هذه القرى قبل الحرب عشرة آلاف بيت فخرب منها في مدة اربع سنوات الحرب الفان وخمس مئة بيت . وكان في هذه ٧٧ الفاً من السكان قبل الحرب فبقي منهم في نهايتها ٤٤ الفاً منهم ١٩ الفاً معدمين يحتاجون الى القوت اليومي وفيهم ٢٦٠٠ يتيم)

وفي خريف سنة ١٩١٦ صدرت اوامر جمال باشا بالغاء (البدلات) العسكرية وسوق الجميع الى الحرب فضجَّ الناس عموماً ولا سيما اهل اليسار الذين اعتادوا التنعم والترفه فاخذوا يتوسلون للتخلص من الجندية مهما كلفهم ذلك فسمح (جمال) بدفع البدل النقدي ذخيرة من الحبوب او السمن . فكان على المتعهد ان يوصل الى المعسكر على نفقته كميات كبيرة من الذخائر تبلغ قيمتها مئات من الليرات الذهبية



البرت الاول — ملك بلجكا

سير الحوادث في العالم عموماً سنة ١٩١٦

اصبح عدد الدول المشتبكة في الحرب اثنتي عشرة — ثمانية ضد اربعة — عدول الحلفاء عن مهاجمة الدردنيل وتسيير حملة الى سلانيك — استيلاء النمساويين على عاصمة الجبل الاسود وثغرجوفني في البانيا — هجوم الالمان على حصون فردون وارتدادهم عنها — سقوط كوت العمارة بيد الاتراك واسر الجيش الانكليزي — استيلاء الروس على ارضروم وطرابزون وارزنجان وموش وبتليس واجتياحهم بيكوفينا وقسماً من غاليسيا — دخول رومانيا المعمعة ضد النمسا — هجوم المانيا وحلفائها على رومانيا واستيلاءهم على قسطنزه وبخارست — توقف هجوم الروس وانخزال رومانيا — عرض المانيا الصلح على اعدائها ورفضهم اياه — استيلاء الجيش الايطالي على غوريتزا — اعلان الشريف حسين قطع علاقاته بالدولة العثمانية واستيلاءه على مكة والطائف — المناداة به ملكاً على الحجاز — مد السكة الحديدية بين مصر وفلسطين يرافقها ماء النيل — تراجع الاتراك في ساحة سينا — تدويخ

مستعمرات الالمان في افريقيا — اعلان المانيا حرب الغواصات على المراكب التي تحمل الذخائر لاعدائها — الهجوم الفرنساوي الانكليزي على السوم — الثورة الارلندية — تعيين بيتي قائداً عاماً للاسطول الانكليزي بدلاً من جليكو — تعيين لويد جورج رئيساً للوزارة بدلاً من اسكويت — مذكرة ولسن

عند ما بزغ فجر هذه السنة كان عدد الدول المشتبكة في هذه الحرب العمومية اثنتي عشرة وهي — المانيا والنمسا وتركيا وبلغاريا من جانب — وفرنسا وروسيا وانكلترا وايطاليا واليابان وبلجكا وسربيا والجبل الاسود من الجانب الآخر . وعليه فان ساحات الحرب كانت متعددة وهنا نورد لمحة عن كل منها باختصار

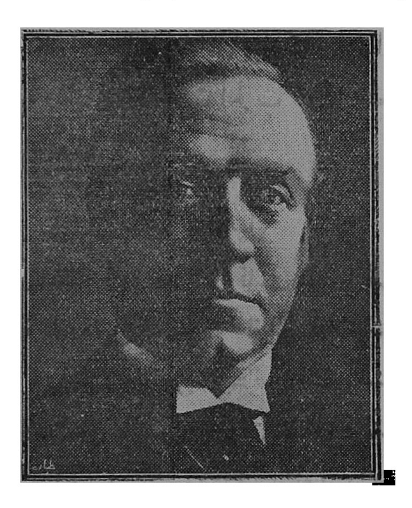
ساحة الدردنيل

مرَّ معنا ان الحلفاء رأوا بعد ان قلبت بلغاريا لهم ظهر المجن ان يعدلوا عن مهاجمة الدردنيل ويسيروا حملة الى سلانيك تهديداً لزحف اعدائهم على سربيا . وفي الثامن من كانون الثاني سنة ١٩١٦ تم جلاء الانكليز والفرنساويين عن غاليبولي غير ان الالمان والنمسويين استولوا على ستنجه عاصمة الجبل الاسود وفي الثامن والعشرين منه احتل النمساويون ثغر جوفني في البانيا

الهجوم على حصون فردون

وكأنَّ الالمان احبوا ان يجربوا حظهم في فردون كما جرب حظهم الحلفاء في الدردنيل وعليه فقد ساقوا في الحادي والعشرين من شباط سنة ١٩١٦ جيشاً عرمرماً على ذلك المعقل المنيع قصد اسقاط حصونه ليتسنى لهم الاستيلاء على باريس . وقد استمرت المعركة حول تلك الحصون وسقط

عدد منها بيد الالمان ولكن حامية فردون استبسلت وكلفت العدو خسائر جسيمة فبدأ يتراجع في الرابع والعشرين من تشرين الاول . ويقال ان الالمان وحدهم خسروا في هذه المهاجمة الطويلة نحو اربع مئة الف جندي . فكان حظهم كحظ اعدائهم امام مضايق الاستانة الذين فقدوا من رجالهم ما يعادل خسارة الالمان امام فردون



المستر اسكويث الذي خلفه لويد جورج

ساحة العراق

ذكرنا سابقاً ان الجيش الانكليزي الزاحف على بغداد صُدَّ عند مدائن كسرى فارتد الى كوت العمارة وحُصِرَ فيها في السابع من كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩١٥ . وما زال الاتراك يشددون عليه حتى اجبر قائده الجنرال طونزند على التسليم مع نحو اثني عشر الفاً من الجنود الانكليزية

والهندية وكان ذلك في التاسع والعشرين من نيسان (ابريل) سنة ١٩١٦ فدخل الاتراك بهؤلاء الاسرى الى بغداد بمظاهرة عظيمة وعرضوهم امام العموم ليرى الناس ان تركيا لم تزل صاحبة حول وطول

ساحة ارمينيا

كانت الحرب في هذه الساحة من قبيل الكر والفر غير ان الروس في اوائل سنة ١٩١٦ ارتدوا على الاتراك بقوة فاستولوا في الخامس عشر من شباط (فبراير) على ارضروم وفي السابع عشر من نيسان (ابريل) على طرابزون وفي السادس والعشرين من تموز (يوليو) على ارزنجان واحتلوا عدة اماكن منها موش وبتليس ووان

الروس والنمساويون

ذكرنا في حوادث سنة ١٩٢٥ ان الالمان انجدوا النمساويين واجبروا الروس على ترك الاماكن التي كسبوها من النمسا غير ان الجيش الروسي عاد فهجم على النمسويين في الرابع من حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦ واجتاح بيكوفينا وقسماً من غاليسيا . ولما رأت رومانيا ذلك حدثتها نفسها باعلان الحرب على النمسا واحتدمت المعركة السياسية بين الحلفاء والدول الوسطى فهؤلاء ارادوا ان تبقى رومانيا على الحياد واولئك سعوا في ادخالها ميدان النزال عن جانبهم واعدينها بنصيب من اراضي النمسا يوم تقسيم الغنائم ففاز الحلفاء بجرها الى المعمعة

اعلان رومانيا الحرب على النمسا

في السابع والعشرين من آب (اغستوس) سنة ١٩١٦ شهرت رومانيا الحرب على النمسا وشهرت ايطاليا الحرب على المانيا . وفي الثامن والعشرين



المارشال هندنبرغ

منه شهرت الحرب على رومانيـا وعينت في التاسع والعشرين منه هندنبرغ رئيساً لاركان حرب الجيش . وفي الثلاثين منه شهرت تركيا الحرب على رومانيا

اما الجيش الروماني فاجتاز مضائق الكربات ودخل الاراضي النمسوية وكان الناس يتوقعون ان الجيش الروماني سيرجح كفة الحلفاء ويعجل في انهـاء الحرب فساء فألهم لان الالمان هجموا على رومانيا بقوة واطبقوا عليها مع البلغار والعثمانيين من الجنوب ومع النمساويين من الشمال فكانت نتيجـة هجومهم انهم في الثاني والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) استولى الالمان والبلغار على ثغر قسطنزه الروماني على البحر الاسود . وفي اليوم السادس من كانون الاول (دسمبر) استولى الالمان والنمساويون

على بخارست عاصمة رومانيا وتوقف هجوم روسيا وانهزمت رومانيا

وبعد هذا الانتصار الذي احرزته المانيا عرضت الصلح على اعدائها على شرط لا غرامة مالية ولا استلحاق املاك اي ان كل دولة ترجع الى ما كانت عليه قبل الحرب ولكن الحلفاء ابوا المصالحة على هذا الشرط

ايطاليا والنمسا

في اول ايار (مايو) سنة ١٩١٥ شهرت ايطاليا الحرب على النمسا وزحفت جنودها نحو تريستا واستولت بعد عراك شديد على عدة اماكن غير ان النمساويين في الرابع عشر من ايار سنة ١٩١٦ شددوا عزائمهم وهجموا على الجيش الايطالي واضطروه الى التقهقر واسترجعوا منه عدة اماكن. وبينما كان الايطاليون متضايقين جرى الهجوم الروسي الآنف الذكر على بيسكوفينا فرفع الضغط عن الجيش الايطالي فكر هذا على النمساويين وفي التاسع من آب سنة ١٩١٦ استولى على غوريتزا

سينا والحجاز

في اوائل حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦ اعلن الشريف حسين بن علي قطع علاقاته بالدولة العثمانية وانضم الى انكلترا وحلفائها . وفي الحادي والعشرين من حزيران استولى على مكة المكرمة ثم على جده والطائف وحاصر الحامية العثمانية في المدينة المنورة ونودي به ملكاً على الحجاز واعترف الحلفاء به رسمياً

وقيام شريف مكة على الاتراك جعل المسلمين العرب ينحرفون تمام الانحراف عن الدولة العثمانية ولا سيما انها كانت قد شنقت عدداً من السوريين بسبب الدعوة العربية كما ذكرنا آنفاً — اما الانكليز فنالوا بذلك

من الترك مآربهم وشرعوا في أوائل آب بمد سكة حديدية بين مصر وفلسطين يرافقها ماء النيل تأميناً للجيش وهذا العمل يُعد من اعظم المشاريع الحربية الاقتصادية لانه ربط افريقيا باسيا بسرعة كان الفضل فيها للحرب الكونية فخرج من « الجافي حلاوة » كانت بركة لمصر وسوريا — وفي الرابع من حزيران واقع الانكليز الاتراك في الرمانة فهرب هولاء من قطية فبئر العبد وفي الحادي والعشرين من كانون الاول (دسمبر) احتل الانكليز العريش . وفي السابع والعشرين منه احتلوا مقضبة

ساحة افريقيا

في الثامن عشر من شباط (فبراير) سنة ١٩١٦ استولى الحلفاء على مستعمرة الكمرون الالمانية ثم في الرابع من كانون الاول (دسمبر) سلّمت دار السلام الالمانية في شرق افريقيا للانكليز

ساحة البحار

لما رأت المانيا ان اعداءها قادرون على جلب ذخائرهم من اميركا بواسطة مراكبهم التي كانت تحميها اساطيلهم نبهت الولايات المتحدة ان تتوقف عن امداد الحلفاء بالذخائر فابت هذه مدعية انها حرّة في تجارتها تبيعها لاي من اراد ان يشتري منها . عندئذٍ رأت المانيا ان تعلن حرب الغواصات على اي المراكب التي تحمل الذخائر لاعدائها فارسلت اميركا في الرابع والعشرين من نيسان سنة ١٩١٦ مذكرة الى المانيا تحتج فيها على حرب الغواصات وتهددها بقطع العلائق السياسية الا اذا عدلت عنها . ولم يحدث سنة ١٩١٦ بين اسطولي انكلترا والمانيا الا معركة جتلندا في البحر الشمالي وذلك في الحادي والثلاثين من ايار

حملة سلانيك

ذكرنا ان الحلفاء نظموا هذه الحملة لتهديد زحف الجيش الالماني النمساوي الذي اجتاح سربيا واتصل ببلغاريا وتركيا . وقد كان متولياً قيادتها الجنرال سرايل الفرنساوي فاخذت تتقدم ببطء . وفي الثامن عشر من تشرين الثاني استولت على مناستر

الساحة الغربية في اوروبا

ابتدأ فيها في اول تموز سنة ١٩١٦ الهجوم الفرنساوي الانكليزي في السوم وربما كان الغرض منه رفع الضغط عن فردون التي كان يهاجمها الجيش الالماني . ثم في الثالث عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ابتدأ الهجوم الانكليزي على الانكر

لا يخفى ان هذه الحرب الكونية فاقت كل حروب السالفين بتعدد ساحاتها وتكاثر جنودها التي كانت تتكافح في ميادين النزال مستخدمة اعظم آلات التدمير والهلاك . فان جيوش الدول الوسطى (المانيا وانصارها) كانت تقدر باكثر من خمسة عشر مليوناً وجحافل الحلفاء (فرنسا وانكلترا وروسيا وانصارهم) قدرت بما يزيد على سبعة وعشرين مليوناً . وكان الهجوم في كل ميدان وناحية يؤثر على غيره من الساحات الحربية كما مر معنا سابقاً . وعليه فلما ساقت المانيا جيشها اللجب على حصون فردون قصد اسقاطها وافتتاح طريق الى باريس هاجم الفرنساويون والانكليز الجيوش الالمانية في السوم للتخفيف عن معاقل فردون



لويد جورج

منشورات

في الرابع والعشرين من نيسان (ابريل) سنة ١٩١٦ ابتدأت الثورة الارلندية لمصلحة المانيا ولكن الانكليز احتاطوا لها واخمدوها في اول ايار (مايو) فلم تستمر سوى اسبوع واحد

وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٦ تعين السر دافد بيتي قائداً عاماً للاسطول الانكليزي بدلاً من السر جون جليكو . وفي الخامس من كانون الاول (دسمبر) استعفى المستر اسكويت من رئاسة الوزارة الانكليزية . وفي السابع منه تعين لرئاسة الوزارة المستر لويد جورج . وفي العشرين منه نشر ولسن رئيس الولايات المتحدة مذكرة عن الصلح — هذه حوادث الحرب سنة ١٩١٦ اوردناها باختصار مع تواريخها ليرجع اليها عند الحاجة

فصل

في حوادث سنة ١٩١٧

سير الحوادث في بلادنا

عجز الاكثرين عن تأدية البدل العسكري وسوقهم الى جبهات الحرب — الطبية اليسوعية في بيروت تحولت الى طبية عثمانية — اقبال الطلبة عليها للاحتماء من العسكرية — جمال باشا يسمح للكلية الاميركانية في بيروت بالتموين من مستودعات الجيش — عزمي بك يناصبها العداء

ذكرنا في اواخر حوادث سنة ١٩١٦ ان جمال باشا اصدر امراً بالغاء البدل النقدي السنوي وهو نحو ثلاثين بنك نوت عثماني وسوق جميع المكلفين دون استثناء الى ساحات الحرب بدعوى ان الدولة تحتاج الى رجال اكثر مما تحتاج الى مال وهذا الامر القى الرعب في صدور الناس عموماً فاخذ كثيرون من الاغنياء والادباء يسعون بالتزام تقديم حطب للعسكرية او غير ذلك من الاعمال الشاقة تخلصاً من الجندية المكروهة وبعد توسلات ارباب الوجاهة سمح جمال باشا بقبول البدل النقدي ذخيرة يقدمها الشخص على نفقته الى المركز الذي تعينه القيادة العليا وكان مقدار تلك الذخيرة ستة عشر قنطاراً سورياً من القمح او ما يعادل قيمتها من السمن والقطاني تؤدى سنوياً وكانت هذه الكمية تكلف يومئذٍ نحو الف ليرة عثمانية (بنك نوت) . فاندفع الاغنياء واهل اليسار لانقاذ حياتهم بهذه القيمة . على ان بعض متوسطي الحال باعوا بيوتهم واملاكهم لشراء نفوسهم من جور العسكرية . وهذا جعل طلب الحبوب شديداً فارتفعت الاسعار واشتدت المجاعة . ولا يخفى ان ١٦ قنطاراً سورياً

تساوي اكثر من اربعة آلاف كيلو وهي كمية من القمح تقوم بعيش اكثر من ثلاثين جندياً مدة سنة من الزمن . فطريقة جمال هذه مكنته من تموين جيش كبير على نفقة اشخاص قلائل في البلاد . والذين لم يستطيعوا تأدية هذه الفريضة وهم القسم الاكبر سيقوا الى جبهات الحرب الا الذين خاطروا بانفسهم ففروا او اختبأوا من وجه الغضب وكانك بالوطن يومئذٍ اصبح خالياً من فتيانه ورجاله من سن الـ١٦ الى سن الخمسين

الطبية العثمانية والطبية اليسوعية

وكانت الحكومة العثمانية قد استولت على منشآت الدول المعادية ومنها الطبية اليسوعية في بيروت فهذه حولتها الى مدرسة طبية عثمانية تلقى فيها الدروس بالتركية واستقدمت اليها اساتذة اتراكاً من الاستانة وكان طلبة هذه المدرسة معفين من العسكرية الى ان ينالوا الشهادة القانونية منها . وعليه اقبل على هذا المكتب مئات من سورية وفلسطين بعضهم عزّاب وبعضهم متزوجون وبعضم تجار وبعضهم صناع يستظلون بظل هذا المعهد المبارك ويتمتعون برتبات وجرايات يتناولونها من الحكومة . والنبيه منهم كان يبذل غاية الجهد لكي يقصر في الامتحانات حتى لا ينال شهادته قبل انتهاء الحرب . وقد روى لنا بعض تلامذتها انهم كانوا يغيبون ويوكلون احد ارفاقهم بالمجاوبة عنهم عند تلاوة نمر الحاضرين مما يدل على تشويش الادارة وعدم الضبط في ذلك المعهد ومع هذا فله الفضل في حفظ اولئك الفتيان من نكبات الجندية التي لا تحصى

الكلية الاميركية

اما الكلية الامركانية فقد كثر طلابها في الدائرة الاستعدادية وقل

عددهم في الدوائر العليا وسبب ذلك انها لم تستطع ان تحمي ابناء الولايات من الجندية فسيق منهم من كان تحت الاسنان العسكرية الى ساحات الحرب ودبر بعضهم الوسائل وانتقلوا الى الطبية العثمانية المشار اليها

على ان جمال باشا لم يظهر العداوة للكلية الامركانية لاعتقاده انها تربي رجالاً لخدمة الجيش وهذا جعله سنة ١٩١٧ يعفي المدرسين فيها من الخدمة العسكرية ويسمح بتموينها من مستودعات الجيش باسعار الحكومة وهي حسنة تذكرها له الكلية ومن لهم علاقة عمل بها لان اسعار الحاجيات كانت يومئذ نوعين اسعار السوق وقد كانت ابداً اخذة بالصعود الفاحش واسعار الحكومة وقد كانت رخيصة جداً بالنسبة الى اسعار السوق

اما عزمي بك والي بيروت فكان من اخصام الكلية الامركانية يتحين الفرص للقضاء عليها بدعوى ان الاجانب كلهم اعداء اتركيا فلا ينبغي ان يركن اليهم . وقد بلغه مرة ان في احد كتب التدريس اي الجغرافية الانكليزية في القسم الاستعدادي عبارة انتقادية على الاتراك فثار ثائره على الجامعة ولولا مداخلة جمال باشا لاغلق المدرسة بتاتاً على انه ما انفك يرغي ويزبد حتى اجبر مدير القسم الاستعدادي على الاستعفاء واخرجه من البلاد العثمانية اذ عده مسوءلاً عن تلك العبارة

ساحة العراق وساحة فلسطين

استرجاع الانكليز لكوت العمارة — استيلاؤهم على بغداد وعلى العريش — خسارتهم في غزة — سفر جمال الى الاستانة — ترحيل الاتراك سكان غزة ويافا الى الداخلية — اعلان الولايات المتحدة الحرب على المانيا — توقيف الكلية الاميركانية — ورود امر من الاستانة باعادة فتحها

وفي الرابع والعشرين من يناير سنة ١٩١٧ استرجع الانكليز كوت

العمارة وفي الحادي عشر من مارس استولوا على بغداد . ولكنّ السوريين لم يكونوا ليتوقعوا الفرج من ساحة العراق بل من ساحة فلسطين لانها اقرب الساحات اليهم ومعظم ابنائهم فيها

مرّ معنا ان الانكليز استولوا في الحادي والعشرين من كانون الاول سنة ١٩١٦ على العريش ثم تقدموا في اوائل سنة ١٩١٧ الى غزه فصدمهم الجيش التركي فيها بقيادة الالمان صدمةً هائلة فقتل من العساكر الانكليزية عدد ليس بقليل مما جعلهم يحسبون ان الاستيلاء على غزة ليس بالامر السهل فاستدعت القيادة الانكليزية (مري) من جبهة فلسطين وارسلت مكانه (اللنبي) فأخذ هذا يستعد لمعاودة الكرة

اما جمال باشا فانه كاف السوريين بتقديم اكياس لاصطناع قلعة رملية يحارب الجيش العثماني عدوَّهُ من ورائها في سهول غزة . ثم سافر جمال الى الاستانة في الربيع بعد ان نشر منشورًا قال فيه ان اورشليم اشبه بالدردنيل فهي امنع من عقاب الجو حصينة لا تؤخذ وشاع ان تركه سورية كان لانه وقع اختلاف بينه وبين القيادة الالمانية في فلسطين

ثم بدأ الاتراك يجلون سكان سواحل فلسطين الى الداخليــة فرحّلوا سكان غزة ويافا فاستولى الرعب على سكان مدن الساحل جميعهــا لانهم حسبوا ان القذف بهم صغارًا وكبارًا الى الداخلية اشد هولاً من مهاجمة العدو لهم في ديارهم

اعلان الولايات المتحدة الحرب على المانيا

وفي الخامس من نيسان سنة ١٩١٧ شهرت الولايات المتحدة الحرب على المانيا وانقطعت العلاقات السياسية بين اميركا وتركيا فاغتنم عزمي بك والي

بيروت هذه السانحة وامر الكلية الامركانية بتوقيف التدريس واوقف رجال الشحنة على ابواب المدرسة يمنعون كل شيء يخرج منها عدا التلامذة واشياءهم . ومن اصعب الامور ضبط مئات من التلامذة بدون عمل . وقد خاف الاجانب في المدرسة الكلية من النفي الى الداخليـة وخاف الوطنيون من ان يؤخذوا بجريرتهم

وبينما كانت ادارة المدرسة تهتم بتسليم موجوداتهـا الى الحكومة العثمانية وتفكر في امر تدبير عدد كبير من التلامذة المصريين الذين انقطعت علاقتهم باهلهم مـن اول الحرب واصبحت الكلية مسؤلة عنهم وردت اوامر من الاستانة باعادة فتح الكلية لان امركا انما شهرت الحرب على المانيا لا على حلفائها . اما المدة التي توقفت فيها الكلية فاسبوعان خرج اثناءها عدد من التلامذة . فاستأنفت العمل والمعلمون والطلبة والبلاد كلها مضطربة الافكار . وفي اوائل تموز منحت المدرسة عطلتها

اشتداد الضيق والاضطراب

الاشاعات بترحيل سكان شواطئ فلسطين وسورية الى الداخلية — تحرك الجيش الانكليزي في ساحة فلسطين — الاستيلاء على بئر سبع وغزة ويافا — سقوط بيت المقدس — دخول السلط والرجوع عنها

بلغنا نهاية السنة المدرسية وقد اشتد الخناق على الاعناق بسبب غلاء المعيشة الفاحش والمصادرة والاحتكار . هـذا فضلاً عن الوجل الذي استولى على النفوس عموماً مما تلده الايام من المزعجات التي لم تكن في الحسبان . لان الحكومة التركية اصبحت سريعة التأثر حساسة الى درجة تعدم الناس او تنفيهم لاقل وشاية او تهمة تتوجه اليهم

ذكرنا انه عند ما اقترب الجيش الانكليزي من غزة رأت الحكومة العثمانية ان ترحل اهلها الى الداخلية فتركت المدينة خاوية خالية ثم رحلت سكان يافا واخذت الاشاعات ترداد ان في النية ترحيل سكان شواطئ سورية جميعهم فدب الرعب في القلوب ولا سيما العيال الذين كان عليهم ان يتركوا بيوتهم ومونتهم ويهيموا على وجوههم صغاراً وكباراً كما جرى لاهل غزة ويافا . ويالله من هول تلك الاشاعات المكدرة التي كانت يومئذٍ تتوارد على المسامع تترى

وقد عزَّت يومئذٍ وسائل النقل . فان مدينة بيروت كانت قبل سنة ١٩١٤ ملأى بالعربات والمركبات فلما بدأت الحرب اخذت العسكرية تصادر الجمال والبغال والخيول وما بقي منها مات جوعاً او اصبح بحكم الميت لقلة الغذاء فما بلغنا سنة ١٩١٧ حتى كانت ترى بيروت مدينة اموات هادئة قلما يشاهد عربة للاجرة واذا وجد فحالة تلك المركبة من حيث منظرها والحيوانات التي تجرها حالة دمار وخراب وعليه اصبح الانتقال من مكان الى آخر غاية في الصعوبة ولا سيما على ارباب العيال

تحرُّك الجيش الانكليزي في ساحة فلسطين

مرَّ معنا ان الانكليز حاولوا في اذار الاستيلاء على غزَّة فصدوا بخسارة جسيمة فتسلم الجنرال اللنبي قيادة الجنود الانكليزية في فلسطين في التاسع والعشرين من حزيران واخذ باعداد قوَّة كافيــة . مضى نحو تسعة اشهر والانكليز . وقوف وفي اواخر تشرين الاول تحرك جيشهم وزحف على بير سبع فتمكن من الاستيلاء عليها في الحادي والثلاثين منه وواصل الزحف الى تل الشريعة فاضطرَّ الجيش التركي الالماني ان يخلي

غزة في السابع من تشرين الثاني متراجعاً واحتدم النضال على طول الخط بين بير سبع ويافا فتقهقر الاتراك في ذلك السهل واخذ الفرسان الانكليز يطاردونهم فاستولوا على يافا في السابع عشر منه وانتهت المعركة بسقوط بيت المقدس في التاسع من كانون الاول سنة ١٩١٧ وقد خسرت سوريا بهذه المعركة عدداً من شبيبتها اسراً وقتلاً وشرع الاتراك يحصنون الناصرة والسلط

وكان السوريون يتوقعون يومئذٍ مواصلة زحف الجيش الانكليزي ليتخلصوا من اهوال تلك الايام ولكن ساء فألهم لان الانكليز وقفوا في بيت المقدس وجوارها مدة ثم هاجموا السلط في الربيع ودخلوها فاكرم الاهالي وفادتهم لكنهم رجعوا عنها فاحتلها الجيش العثماني واخذ يؤدب اهلها لاحتفائهم بالعدو . وكان المتشائمون من السوريين يقولون ان الانكليز اكملوا شوطهم من جهة فلسطين بالاستيلاء على اورشليم . وانهم لن يتقدموا الى سوريا فاوجس الناس ان تطول بهم ازمنة الشدة فتجرف المجاعة ابناء البلاد جميعاً فان رطل الدقيق بلغ ثمنه في بيروت تلك السنة ثلاث ليرات عثمانية (بنك نوت) هذا فضلاً عن نكبات الامراض والنفي والعسكرية وغير ذلك . هذه خلاصة حوادث سوريا الخصوصية والآن نتقدم الى



المارشال جوفر

سير الحوادث في العالم عموماً سنة ١٩١٧

اعلان المانيا حرب الغواصات — قطع اميركا علاقتها السياسية بالمانيا واقتفاء الصين خطواتها — قطع النمسا علاقتها السياسية باميركا واقتفاء البلغار وتركيا خطواتها — موافقة المجلس الاميركي على قانون انشاء جيش يبلغ نصف مليون — وصول القسم الاول من الجيش الاميركي الى فرنسا — استرجاع كوت العمارة والاستيلاء على بغداد — وفاة الجنرال مود — ابتداء الثورة في روسيا — تقهقر الروس في غاليسيا — خلع الامبراطور نقولا والمناداة بالجمهورية الروسية — موقعة آراس واسترجاع موقع شمان ددام — تقهقر التليان — استيلاء الجيش النمساوي الالماني على غورتزيا واودسي — انجاد الانكليز للتليان — المستعمرة الالمانية شرقي افريقية — رفض تركيا معاهدة برلين واعلان استقلالها التام — تعيين مكاليس مكان بتمن هلفج ثم تعيين هرتلنغ بدلاً من مكاليس

مر معنا في حوادث سنة ١٩١٦ ان المانيا انذرت الولايات المتحدة

باعلان حرب الغواصات عليها اذا هي ظات تمد اعداءها ببيع الذخائر فابت اميركا قطع علاقاتها التجارية بالحلفاء فشرعت المانيافي اول شباط سنة ١٩١٧ باخراج وعيدها الى حيز الفعل دون ضابط ولا رابط فقطعت اميركا في الثالث منه علاقاتها السياسية بالمانيا وفي الرابع عشر من آذار اقتفت الصين خطوات اميركا — وفي الخامس من نيسان شهرت امركا الحرب على المانيا وفي الثامن منه قطعت النمسا علاقتها السياسية بامركا وفي العاشر منه اقتفت البلغار خطوات النمسا وفي الحادي والعشرين منه جرت مجراهما تركيا وفي الثامن والعشرين منه وافق مجلس الامة الامركي على قانون بانشاء جيش يبلغ نصف مليون وفي السادس والعشرين من حزيران سنة ١٩١٧ وصل القسم الاول من الجيش الامركي الى فرنسا وفي السابع والعشرين من تشرين الاول شرع الامركيون يحاربون منجدين جيوش الحلفاء على المانيا في ميدان اوروبا الغربي

ساحة العراق

مرَّ معنا في حوادث سنة ١٩١٦ ان الاتراك استولوا في التاسع والعشرين من نيسان على كوت العمارة واسروا الجيش الانكليزي الذي كان محصورًا مع قائده الجنرال طوزند . فالف الانكليز جيشاً ثانياً واعادوا الكرة على الكوت فاسترجعوها في الرابع والعشرين من شباط سنة ١٩١٧ . واستولوا على بغداد في الحادي عشر من آذار وفي الثالث والعشرين من نيسان احتلو سامرًا شمالي بغداد . — وفي الثامن عشر من تشرين الثاني توفي الجنرال مود قائد الجيش الانكليزي في العراق وفاتح بغداد وخلفه الجنرال مرشال

الروس والنمساويون

في الثاني عشر من آذار سنة ١٩١٧ ابتـدأت الثورة في روسيا . وفي الثالث والعشرين من تموز اخذ الروس يتقهقرون في غاليسيا امـام الجيش النمسوي الالماني ففقدوا هالكز . وفي الرابع والعشرين منه فقدوا مدينتي ستانسلو وترنوبول . وفي الثالث من آب اضطروا الى اخـلاء زرنوفتز — وفي السابع من ايلول دخل الالمان ثغر ريغا الروسي على البلطيك وفي الخامس عشر منه نودي بالجمهورية في روسيا

وكان الثائرون قد خلعوا الامبراطور نقولا الثاني وفتكوا به مع افراد الاسرة المالكة فتكاً مخيفاً وهي مأساة انتهت بثل عرش آخر قيصر من آل رومانوف بعد ان مرَّ اكثر من ثلاثمئة سنة على تلك الاسرة العظيمة مسيطرة وقد قام منها القياصرة العظام كبطرس الاكبر وكاترينا واسكندر الثاني وغيرهم من ارباب العزة والمنعـة الذين رفعوا شأن الدولة الروسية فكان العالم يهتز اذا ما تحركت جيوشها الجرارة

وفي السابع من تشرين الثـاني نهض البولشفيك في روسيا بقيادة لنين وتقلدوا زمام الاحكام . ثم عقدت هدنة بين روسيا والمانيا وحليفاتها انتهت بصلح برست لتوفسك على ما تريد المانيا . فاعلن الروس انسحابهم مـن الحرب رسمياً فتفرغت المانيا لمناجزة اعدائها في الساحة الغربية فاستنجدوا بالولايات المتحدة فانجدتهم بجيش نقلتـه البواخر على ظهر الاتلنتيك تخفرها الاساطيل



كليمنصو

فرنسا والمانيا

كانت حوادث الساحة الغربية قليلة سنة ١٩١٧ فجرت فيها موقعة آراس في التاسع من نيسان واسترد الفرنسويون موقع شمان ددام في الخامس من ايار

ايطاليا والنمسا

في الرابع والعشرين من آب سنة ١٩١٧ استولى التليان على مونتي سانتو فصمد لهم النمسويون والالمان وكرّوا عليهم في الرابع والعشرين من تشرين الاول فتقهقر التليان وفي الثامن والعشرين منه استولى الجيش النمسوي الالماني على غورتزيا الايطالية وفي التاسع والعشرين منه استولوا على اودسي وفي الحادي والثلاثين منه انسحب الايطاليون الى

تليانتو بعد اسر قسم من جيشهم الثاني . فارسل الانكليز نجدة من جيوشهم الى ايطاليا فوصلت في الرابع من تشرين الثاني على ان التليان ظلوا يتقهقرون الى التاسع منه اذ بلغوا نهر بيافي

ساحة المستعمرات

لم يجر فيها سنة ١٩١٧ ما يستحق الذكر سوى فتح المستعمرة الالمانية في شرق افريقية في اول كانون الاول

منشورات

في اول كانون الثاني سنة ١٩١٧ رفضت تركيا معاهدة برلين ونظام الامتيازات القنصلية واعلنت استقلالها التام – وفي الرابع عشر من تموز تعين الدكتور مكاليس وزيراً اولاً للامبراطورية الالمانيـة مكان بتمن هلفج – وفي الثلاثين من تشرين الاول تعين الكونت هرتلنغ وزيراً اولاً للامبراطورية الالمانية بدلاً من الدكتور مكاليس

هذه خلاصة حوادث الحرب سنة ١٩١٧ استندنا في خصوصياتها على مفكرتنا اليومية وفي عمومياتها على اصدق المصادر ليرجع اليها عند الحاجة . والسبب الذي دعانا الى الاسهاب في الخصوصيات هو ان الحوادث الشخصية اثرت في نفوسنا فكانت تنبهنا الى ملاحظات كثيرة جديرة بالتدوين

فصل

في حوادث سنة ١٩١٨

سير الحوادث في بلادنا

لم تكن حوادث سنة ١٩١٨ مختلفة في نوعها عن حوادث سني الحرب السابقة ولكنها كانت اشدّ وطأةً على البشرية . فالاختلاف كان في الدرجة لا في النوع . فان المتسولين الجياع الذين كانوا مطروحين في شوارع المدن السورية بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٧ جرفتهم المجاعة وحل مكانهم عدد من ابناء الطبقة الوسطى ممن كانوا عائشين قبل الحرب براحة وسلام . هؤلاء باعوا ما يملكون واشتروا انفسهم وعيالهم من الجوع او العسكرية . ثم ما لبثوا حتى فرغ ما بأيديهم وتمادى المحتكرون برفع اسعار الحاجيات وقست قلوب الاغنياء وقلت الرحمة ففغرت المجاعة فاها واخذت تبتلع البقية الباقية من اطفال ونساء ورجال كانت آثار النعم والتهذيب ظاهرة عليهم

الاحتفاء بالعظماء

ومع كل ما كانت عليه البلاد يومئذٍ من التعاسة والشقاء فان زوارها العظماء كانوا لا يفتأون يترددون عليها من وقت الى آخر فيؤمر الشعب برفع الرايات على الشرفات وابواب المنازل والمخازن احتفاء باولئك الزائرين

ومن المؤلم ان الرايات التي كان يؤمر الشعب برفعها كان يشترط فيها ان تكون كما علمنا بقياسات معلومةٍ من حيث الطول والعرض والويل

لمن يخالف تلك الاوامر

ان انور باشا وزير الحربية التركية زار سورية اثناء الحرب اكثر من مرة تفقدًا لجبهة فلسطين . وفي شتاء سنة ١٩١٨ اعلن عزمه على زيارة مدينة بيروت مع بعض القواد الالمان . فاوعز الوالي بوجوب تزيين المدينة ودعا الدوائر والمعاهد العلمية على اختلافها لاستقبال الوزير الخطير

فطلب رئيس الجامعة الاميركية من الاساتذة والتلاميذ مرافقته للملاقاة فاصطف ابناء الكلية من بيت الوالي عزمي بالقرب من المستشفى البروسياني الى جهة حاووز الساعتيه وكان ميعاد وصول الوزير ورفاقه الى بيت الوالي الساعة التاسعة قبل الظهر ولكنهم تأخروا الى الساعة الثانية عشرة فالتزم الرئيس والاساتذة والتلامذة ان يظلوا واقفين وقوف الخضوع نحو اربع ساعات ليؤدوا التحية .

وفي اليوم التالي امر الوالي بوداع الضيوف وكان ذلك اليوم كثير الامطار فتوجهت الجماهير الى ناحية فرن الشباك ووقف عظماء المدينة واهل المقامات العالية ينتظرون موكب الوزير والقواد ليؤدوا واجب الوداع كما ادوا واجب الاستقبال . هذا مثال من التمجيد والتعظيم الذي كان يتوجب على اهل البلاد تقديمه لقواد الحرب

الحفلات الرسمية

كانت الدولة التركية في حفلاتها الرسمية تمنح المقام الاول للروساء الروحيين فكانوا بحسب اللائحة اول من يسمح لهم بالدخول الى ردهة استقبال الوالي في دار الحكومة . ولم يكن عددهم بالقليل فكان منهم الائمة والبطاركة والمطارنة ومن ينتمي اليهم وكانوا جميعهم متعممين

متقلدين الا واعظي البروتستانة فكانوا يدخلون بالاثواب العادية

وكان يتصدر في الردهة الكبيرة الوالي وجمال باشا فيدخل الرؤساء على الحان الموسيقى العسكرية ويصافح كل منهم الحاكم باليد وبعد الانتهاء يقف الكل فيعين الوالي مجالس اربعة اشخاص فقط ويطلق للباقين حرية الجلوس اينما ارادوا . اما الاربعة اشخاص الذين تعين اماكنهم فهم القاضي عن يمين الحاكم . والمفتي عن يساره . وبطريرك السريان بجانب القاضي ومطران الارثوذكس بجانب المفتي . هـذا ما كنت الاحظه في ايام الولاة الثلاثة الذين تعاقبوا على ولايـة بيروت في ايام الحرب وهم بكر سامي بك وعزمي بك واسماعيل حقي بك . ولعل هذا الترتيب المشار اليه سنّة قديمة كان يجري عليها العثمانيون ولم يكن من البطاركة بين الرؤساء الروحيين في زمن الحرب الا بطريرك السريان . وبعد جلوس بضع دقائق كانت تعزف الموسيقى العسكرية اشارة للانصراف فيقف الحضور مودعين افرادًا كما دخلوا ثم يدخل جوق آخر من الموظفين وهلم جرًا

على ان هذه الحفلات كانت احياناً يكدّر صفوها باصوات مدافع بوارج الحلفاء التي كانت تكثر من التردد سنة١٩١٨ على شواطئ سورية . وكان في رياق مركز للطيارات فيسرع بعضها لمناجزة هـذه البوارج وقد شاهدنا بام العين موقعة جرت بين طراد فرنساوي وطيارة المانية فكانت هذه تصب قذائفها على الطراد وهو يقابلها بالمثل وكان كلاهما يبديان من رشاقة الحركات تجنباً لمقذوفات عدوه ما يدهش العقول ولكن المعركة مع احتدامها انتهت على سلامة بعد ان طارت قلوب الناس من الخوف

التآلف بين السوريين

ومما هو جدير بالذكر ان عرى التآلف ازدادت توثقاً بين الناس في سورية على اختلاف مذاهبهم فاصبح المسلم والمسيحي متآخيين وكان كلاهما ينظران الى تقدم الحركة الحجازية بارتياح متوقعين بذاهب الصبر التخلص من النير التركي لان شدته في هذه الحرب وقعت على كليهما

وهذا نوضحه بحكاية الاسد والذئب والثعلب عند ما اشتركوا في الصيد فاقتنصوا حماراً وغزالاً وارنبة فطلب الاسد من الذئب ان يقسم الصيد بينهم . فقال ان القسمة ظاهرة فلا تحتاج الى كبير عناء . فالحمار حصة الاسد والغزال حصتي والارنبة حصة الثعلب فلما سمع الاسد ذلك استشاط غيظاً وضرب الذئب ضربة رفعته عن الارض فتعلق بين غصني شجرة . ثم التفت الى الثعلب وقال كيف تقسم انت هذا الصيد ؟ . فقال الثعلب مولاي ان الامر ظاهر فالارنبة فطور لسيدي الاسد والغزال غداؤه والحمار عشاؤه . فطاب لذلك قلب الاسد وقال للثعلب احسنت يا ابا الحصين . فمن الذي علمك في التقسيم حسن الذوق . اجابه مشيراً الى الذئب المشنوق — علمني يا مولاي حسن الذوق هذا المعلّق فوق

هذ المثل يوضح لنا الدواعي التي دعت سكان سوريا على اختلاف مذاهبهم الى التآلف والمؤاخاة . ان الذي دعاهم الى ذلك هو ضغط النير الثقيل على رقاب الجميع فلما وقع الاحتلال عاد الناس الى الانقسامات والتحزبات وزادوا في طنبور الاختلاف نغمات كما سيجي.

مجرى الحوادث في العالم عموماً

اعتراف المانيا والنمسا بجمهورية اكرانيا — عقد الصلح في برست لتوفسك — اعلان البلشفيك الرسمي ان روسيا خرجت من الحرب — استرداد الترك لطرابزون — الصلح بين المانيا وفنلندا — استرجاع الترك لمدينة ارضروم — دخول الجنود الالمانية اودسا — شروع المانيا بهجوم عظيم قبل وصول الجيش الاميركي — تقهقر الجيوش الانكليزية الفرنسارية — توحيد القيادة وجعل فوش قائـداً عاماً — النجدات الاميركية شددت عزائم الحلفاء فاوقفوا زحف الالمان — شروع الحلفاء الهجوم واسترداد المدن التي اخذها الالمان — احتلال المانيا لعاصمة فنلندا — استيلاء الاتراك على القرص — استيلاء الالمان على سبستبول — مؤامرة في ارلندا لمصلحة المانيا — احتلال الترك مدينة تبريز — الهجوم النمساوي في سهل اسياغو بايطاليا . تكاثرجيوش الحلفاء في الساحة الغربية تناقص الجيش الاحتياطي عند الالمان

في اول شباط اعترفت المانيا والنمسا بجمهورية اكرانيا . وفي التاسع منه عقد الصلح في برست لتوفسك بين المانيا وحليفاتها من جهة وبين اكرانيا من الجهة الاخرى . وفي العاشر منه اعلن البلشفيك رسمياً ان روسيا خرجت من الحرب وفي الرابع والعشرين منه استرد الترك طرابزون وفي الثالث من اذار عقد الصلح في برست لتوفسك بين المانيا وحليفاتها وبين البلشفيك في روسيا — وفي السابع منه عقد الصلح بين المانيا وفنلندا — وفي التاسع منه استرد الترك مدينة ارضروم — وفي الثالث عشر منه دخلت الجنود الالمانية اودسا وامضيت معاهدة برست لتوفسك .

فيظهر مما تقدم ان المانيا قد تمكنت في مدة قصيرة من اجراء اعمال حربية مدهشة فانها فوق سحقها بلجكا وسربيا والجبل الاسود ورومانيا

دوخت روسيا الدولة العظيمة والجأتها الى صلح منفرد املت هي فيه الشروط . على ان المانيا مع كل ما اظهرت من الحول والطول ادركت ان اعداءها يزدادون تالباً عليها يوماً بعد آخر فاصبح معظم سكان الكرة الارضية ضدها وعليه كانت كلما انتصرت انتصاراً تدعو خصومها الى المصالحة على شرط لا غرامة ولا استلحاق فكان اعداؤها ولا سيما انكلترا يرفضون طلبها هذا بدعوى ان مصالحتها على هذه الصورة يحط من مقامهم . فصمموا النية على مواصلة القتال الى النهاية لعله يتهيأ لهم صلح يكونون هم فيه اصحاب الامر والنهي . وكانك بالانكليز ارادوا ان يجروا في هذه الحرب اتباعاً لسياسة دولة الرومان التي كانت تأبى مصالحة خصمها مقهورة

مر معنا ان الولايات المتحدة دخلت سنة ١٩١٧ على جانب الحلفاء مستعيضين بها عن روسيا واخذت تكتّب الكتائب وتعد المعدات وشرعت البواخر تنقل الجيوش من اميركا نجدة لاوروبا على المانيا فشعرت هذه بخطر الموقف فحاولت ان تسحق اعداءها في الساحة الغربية قبل ان تتكاثر نجداتهم فرأت ان تجري هجوماً عظيماً لم يشهد التاريخ مثله

بدأ ذلك الهجوم في الحادي والعشرين من اذار (مارس) سنة ١٩١٨ فساقت المانيا جحفلاً لجباً ومن خلفه قوة احتياطية عظيمة وتقدمت نحو باريس واخذت تقذف عليها المدافع البعيدة المرمى عن مسافة نحو ٧٥ ميلاً وقطعت الجيوش الالمانية في زحفها نهر السوم فتقهقرت الجيوش الانكليزية الفرنساوية امامها متخلية عن عدد من المدن والحصون . وكان غرض الالمان من هذا الهجوم فصل القوات الانكليزية عن القوات الفرنساوية لكي يتمكنوا من اختراق طريق إلى مدينة اميان مركز القيادة الانكليزية



المارشال فوش

فيستولوا على الخط الحديدي الممتد من كاله الى باريس ويشرفوا على بحر المانش مهددين الاسد البريطاني في عرينه

اما الحلفاء فكانوا لى ذلك الحين غير موحدين قيادة جيوشهم فشعروا عند هذا الهجوم بوجوب ذلك فاتفقوا في الرابع عشر من نيسان (ابريل) على تعيين الجنرال فوش قائداً عاماً لجيوشهم فاخذ يحاول توقيف الزحف الالماني بكل ما لديه من الوسائل . وما زال الالمان يضغطون بجحافلهم الجرارة على جيوش الحلفاء وهؤلاء يتراجعون وكلا المهاجمين والمتراجعين تباع منهم الارواح بيع السماح فاستولى الالمان في هذا الهجوم على عدد من المدن والحصون ومنها – بيرون وبابوم وارمنتيير – ولكنهم لم يستطيعوا الفصل بين القوات الانكليزية والفرنساوية

ثم عادوا واستأنفوا هجومهم في السابع والعشرين من ايار (مايو) فاستولوا في التاسع والعشرين منه على سواسون وبلغوا في الثلاثين منه ضواحي ريمس — وفي اول حزيران (يونيو) وصلو الى شاتو تييري وعبروا نهر المارن واستولوا على عدة اماكن جنوبية واصبحت باريس مهدَّدة

غير ان جيوش الحلفاء عادت فثبتت اقدامها بما ضم اليها من النجدات الاميركية فوقفت في الرابع من حزيران في وجوه الالمان فارجعتهم الى ما وراء المارن . وفي الحادي عشر منه هاجتهم بين مونديه ونوايون . وهنا توقف الزحف الالماني بعد ان مرَّ عليه اكثر من سبعين يوماً فسقط فيه الوف من الجانبين

وفي الثامن عشر من تموز بدأ الحلفاء هجومهم فاستردوا مدينة سواسون وفي الحادي والعشرين منه احتلَّ الفرنساويون مدينة شاتوتييري وفي العاشر من آب استرجعوا مدينة مونديه . وفي الحادي والعشرين منه استولى الانكليز على مدينة أبير.. وفي السابع والعشرين منه استولى الفرنساويون على مدينة روي . وفي التاسع والعشرين منه احتل الانكليز بابون والفرنساويون نوايون — وفي الثالث عشر من سبتمبر استولى الاميركيون على سان مهيال جنوب فردون

على انه عند ما كان وطيس الحرب محتدماً في ساحة اوربا الغربية بين الحادي والعشرين من اذار واواسط ايلول كانت بقية الساحات متحركة ايضاً . فان المانيا في الرابع عشر من نيسان احتلت عاصمة فنلندا . وفي السابع والعشرين منه استولى الاتراك على القرص في القوقاس . وفي الحادي عشر من ايار احتل الالمان قلعة سبستبول في القريم . وفي السابع

عشر منه اكتشف الانكليز في ايرلندا مؤامرة لمصلحة المانيا فالقوا القبض على الزعماء — وفي الرابع عشر من حزيران احتل الترك مدينة تبريز في ايران . وفي الخامس عشر منه ابتدأ الهجوم النمساوي في سهل اسياغو في ايطاليا الى البحر

كل ما تقدم دل على ان المانيا وحلفاءها تحركوا معاً في الهجوم الذي بدأ في الحادي والعشرين من اذار لعلهم يتمكنون من نيل مآربهم من العدو فيجعلوا قناته تلين بعد الشدة . ولكن الحلفاء لتكاثر جيوشهم وعظم مواردهم استطاعوا ان يحتملون تلك الصدمات . وبعد ان ظلوا عدة اشهر متقهقرين عادوا في اواسط تموز الى موقف المهاجمين ومن ثم اخذ الالمان لقلة الجيش الاحتياطي عندهم يتراجعون . فان الجندي من جيوش الحلفاء بعد تكاثر الجيش الاميركي في الساحة الغربية اصبح باستطاعته ان يرتاح من المحاربة واهوال الخنادق باستبداله بآخر فتتجدد قواه وهذا الامر لم يكن يتهيأ للجندي الالماني سنة ١٩١٨ بعد ان خسر خسائر عظيمة في هجماته السابقة فكان عليه ان يقف ساعات عديدة في مواقف النضال دون استراحة وعليه رأت القيادة الالمانية ان لا بد من التراجع بعد ذلك الهجوم العظيم الذي حاولوا فيه سحق اعدائهم الانكليز والفرنساويين قبل وصول النجدات الاميركية فاخفقوا

آخر معارك الحرب

شروع الجيش الانكليزي بزحفه في ساحة فلسطين — الجيش التركي متراجع شراذم شراذم — الاتراك يخرجون من بيروت — حدوث زلزال — الاتراك يتركون دمشق — قدوم اربع بوارج انكليزية فرنساوية على بيروت والاحتفاء بها — احتلال جيوش الحلفاء شاطىء سورية — اشباع الجياع — كيف قهر الجنرال اللنبي الجيش التركي — تقهقر الجيش البلغاري — طلب بلغاريا هدنة — دخول الجنود السربية نيش — تنازل فردنند ملك بلغاريا — استيلاء الجنود الاميركية على اثين — ارسال الحكومة الالمانية مذكرة الصلح الاولى الى الرئيس ولسن — جواب الرئيس ولسن على المذكرة الالمانية الثانية — شروط الصلح وقبول الالمان لها — اعتزال الجنرال لودندورف — طلب النمسا هدنة — تسليم الجيش العثماني على دجلة ومنح تركيا هدنة — المناداة بالجمهورية في بودباست وفيانا — وبافاريا — تنازل امبراطور المانيا عن عرشه وذهابه الى هولندا — توقيع الالمان على شروط الهدنة — رفع الاعلام وقرع الاجراس واطلاق المدافع ابتهاجاً بايقاف رحى الحرب — مجمل شروط الهدنة التي قبلت بها المانيا — تسليم الاسطول الالماني للانكليز — عدد الدول التي اشتركت في العراك بلغ في آخر سنة من سني الحرب نحو ٢٦

كنا في (بحمدون) فسمعنا ان عرب الشريف بلغوا درعا وان الجيش الانكليزي في فلسطين شرع في زحفه فسقطت في يده حيفا وعكا والناصرة – ثم نزلنا الى سوق الغرب وقضينا ليلةً وقد شعرنا ان مدينة بيروت اشبه بمدينة اموات لاشتداد الظلمة في ارجائها لسبب نفاد زيت البترول منها فتذكرنا زمن قبل الحرب حينما كان ذلك الساحل يتلألأ ليلاً بالانوار الارضية تلمع فوقه الكواكب السموية فيزداد مهابة وجمالاً

وفي اليوم التالي اتينا الى عاليه فشاهدنا حافلات القطار مزدحمةً بعدد

كبير من الالمان والاتراك ووجهتهم رياق—ويوم السبت في الثامن والعشرين من ايلول هبطنا الى بيروت فالتقينا مئات من العساكر التركية متراجعين شراذم شراذم في حالة يرثى لها حفاة باسمال بالية والجوع والتعب باد عليهم فتأثرنا لمنظرهم. وسالنا بعضهم فاجابونا بالتركية فلم نفهم منهم سوى كلمات —انكليز— حيفا — عكا — فادركنا انهزام الاتراك في هذه الاماكن

وصباح الاحد في التاسع والعشرين من ايلول كان الالمان والاتراك يخرجون من بيرون بسرعة خوفاً من قطع خط الرجعة عليهم وقد شعر الناس في ذلك اليوم بزلزلة شديدة فاستولى الرعب على القلوب

وقبل فجر الثلاثا في اول تشرين الاول غادر بيروت الوالي اسمعيل حقي بك مع عدد من متوظفي الاتراك. ثم وصل الى المدينة منشور يقول ان الاتراك تركوا دمشق وسورية واضحت البلاد مستقلة تحت حكم عربي — وامتلأت بيروت بالشبان الذين مر عليهم سنوات وهم مختفون من وجه الجندية. واصبح الجياع المطروحون في الشوارع تبرق أسرتهم بالرجاء لان الايدي مدت إلى مساعدتهم ودنا وقت خلاصهم من انياب المجاعة

ونهار الاربعا في الثاني من تشرين الاول وصل من دمشق إلى بيروت برقية بتوقيع راس الحكومة العربية تشير إلى بعض تعليمات — ثم ظهر في الجو طيارتان انكليزيتان فاستأنس الناس بهما وتوقعوا ان ترميا اوراقاً تبشر بالخير ولكنهما بدلاً من ذلك طرحتا بعض قذائف على (البور) طارت شظاياها إلى الاسواق فذعر الناس وتركوا محلاتهم هاربين

وكان نهار الخميس والجمعة في الثالث والرابع من تشرين اول يومي اشاعات واضطرابات واشأم تلك الاشاعات التي راجت هو سلب بعض

الاهالي للجنود التركية الهاربة وهجومهم على (الانابر) والذخيرة وعلى المستشفيات وانزال المرضى عن اسرتهم وسلب الاثواب والشراشف إلى غير ذلك من الشائنات التي تأباها النفوس العزيزة — وفي الرابع من تشرين الاول احتفل الساعة الرابعة بعد الظهر في دار الحكومة برفع العلم العربي بحضور جمهور ولكن لم يطل الامر حتى صدرت اوامر عسكرية بانزال ذلك العلم . وكانت ببيروت بين اول تشرين الاول والخامس منه مسرح للفوضى والتشويش ولكن لم يحدث ما يكدر الامن فعلاً

وصباح الاحد في السادس من تشرين الاول دخل ميناء بيروت اربع بوارج انكليزية وفرنساوية فنزلت المدينة إلى الرصيف لملاقاتها وكانت الجماهير صغاراً وكباراً يهتفون احتفاء بها . ويقال ان غرض تلك الدوارع كان تأكد هرب الاتراك من بيروت . وكان السكان يؤولون لكل حركة معنىً من المعاني وكل يهرف بما لا يعرف

وفي الثامن من تشرين الاول احتل الانكليز بيروت — ثم اخذت الجيوش تتوارد عن طريق البر والبواخر تقبل على ساحل سورية حاملة ذخائر . لذلك الجيش المحتل وانه لجيش صدق فيه قول المتنبي

تجمع فيه كل لسنٍ وامة   فما يفهم الحداث الا التراجم

تألف ذلك الجيش من انكليز واسكتلنديين وايرلنديين واوستراليين وهنود وفرنساويين وتونسيين وجزائريين وصينيين ويابانيين الخ

وكانت هذه الجيوش شبعانة فتترك فضلات طعامها للجياع الذين اكلوا وشبعوا وشكروا الله على انقاذهم من مخالب الموت

معركة فلسطين الفاصلة

وهنا لا بد لنا من الرجوع الى وصف المعركة الفاصلة التي سحق بها الجنرال اللنبي الجيش التركي. ان هذه المعركة بدأت كما وصفها لنا المشاهدون الساعة الرابعة وربع من صباح التاسع عشر من ايلول سنة ١٩١٨ فتأهب الجيش الانكليزي من السلط إلى حيفا وعند ما حانت الساعة بدأت المدفعية تدوي على طول الخط من السلط الى طول كرم وانتصبت عمد النار من الارض إلى السماء وتكاثف الدخان فتراءى للمشاهدين ان الارض زلزلت زلزالها واخرجت اثقالها. ثم هجم الفرسان الانكليز اولاً فخرقوا قلب الجيش التركي باقل من ساعتين فاستولى الذعر على الالمان والاتراك فسقطت طول كرم ونابلس والناصرة وعكا وحيفا بين التاسع عشر والثالث عشر من ايلول وانكسر الجيش التركي واخذ العدو يطارده بالفرسان والطيارات. وفي السادس والعشرين من ايلول سقطت عمان واستمرت المطاردة فسقطت دمشق في اول تشرين الاول (اكتوبر) واحرق الجيش الهارب ذخائره في دمشق ورياق مواصلاً الهزيمة الى حمص فحماة فحلب التي سقطت في السادس والعشرين من تشرين الاول ويقال ان الانكليز اسروا في هذه المطاردة ما بين طول كرم وحلب نحو مئة الف من العسكر التركي. وكان من المنتظر ان الاتراك يثبتون اقدامهم في حلب مستندين على الاناضول ولكن تضعضع الالمان في الساحة الغربية وسقوط بلغاريا وتهديد الاستانة منعهم عن الاعتصام في حلب

ظهر لك انه عندما كانت المعركة الاخيرة محتدمة في فلسطين كانت لمعارك عامة في كل الساحات تقريباً. فانه في الخامس والعشرين من ايلول

اخذ الجيش البلغاري بالتقهقر امام جيش الحلفاء . فطلبت بلغاريا في السابع والعشرين من ايلول هدنة وفي التاسع والعشرين منـه وقعت على شروط الهدنة . وفي الثاني من تشرين الاول دخلت الجنود السربيـة نيش وفي الخامس منه تنازل عن عرشه فردنند ملك البلغار — وفي السادس من تشرين الاول استولت الجنود الاميركية على سان اتين واخلى الالمـان مدينة لكاتو وارسلت الحكومة الالمانية مذكرة الصلح الاولى الى



المستر ولسن رئيس الولايات المتحدة

الرئيس ولسن . وفي الثاني عشر منه ارسلت المذكرة الثانية الى اميركا — وفي الثالث عشر منه استولى الفرنساويون على لان ولافير وفي الرابع عشر منه دخل الطليان دراج . وقد اجاب الرئيس ولسن على المذكرة الالمانية الثانية وفيها يفرض شروط الصلح

وفي السابع عشر من (اكتوبر) تشرين الاول احتل الحلفاء استند وبروج وليل وفي العشرين منه قبل الالمان شروط الصلح التي فرضها الرئيس ولسن — وفي الثاني والعشرين منه خرج الترك من تبريز — وفي الخامس والعشرين منه اعتزل الجنرال الالماني لودندورف وفي السابع والعشرين منه عبر الانكليز والطليان نهر بيافي — وفي التاسع والعشرين منه طلبت النمسا من اميركا مهادنة — وفي الثلاثين منه سلم الجيش العثماني على دجلة ومنحت تركيا هدنة

وفي اول نوفمبر (تشرين الثاني) نودي بالجمهورية في بودابست وفي فيانا — وفي الثالث منه احتل الجيش السربي بلغراد — وفي السابع منه استولى الاميركيون على سيدان ـ وفي الثامن منه نودي بالجمهورية في بافاريا ـ وفي التاسع منه تنازل امبراطور المانيا عن عرشه . وفي العاشر منه ذهب الى هولندا

وفي الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وقع الالمان على شروط الهدنة وكان هذا اليوم عيداً عمومياً رفعت فيه الاعلام وقرعت اجراس الكنائس واذّن المؤذِنون في منائر المساجد واطلقت المدافع ابتهاجاً بايقاف رحى الحرب وبانهاء تلك المجزرة التي لم ير مثلها في تاريخ الانسان . وهاك مجمل شروط الهدنة التي قبلت بها المانيا

(١) اخلاء بلجكا والالزاس واللورين واكسمبرج حالاً

(٢) يعطى العدو مهلة ثلاثين يوماً لاخلاء الاراضي المتاخمة لنهر الرين

(٣) تسليم سكك الالزاس واللورين الحديدية وجميع آلات النقل واخلاء روسيا ورومانيا وتسفير اسرى الحرب والغاء معاهدات بخارست

وبرست ليتوفسك

(٤) توقيف الحرب البحريـة وتسليم الغواصات للحلفاء والولايات المتحدة مع عدد من البوراج الالمانية الكبيرة

(٥) مدة الهدنة ستة وثلاثون يوماً

(٦) تسليم خمسة آلاف مدفع منها الفان وخمس مئة من اكبر عيار وتسليم ثلاثين الف متراليوز وانسحاب الجيش الالماني الى ما وراء الرين

(٧) احتلال الحلفاء المواقع الحصينة على نهر الرين واحتلال الاراضي غربي النهر المذكور . وتسليم خمسة آلاف قاطرة واربعين الف شاحنة بالحالة الحسنة وارجاع الاهالي الموقوفين في المانيا واعلان حرية البحار وحرية المرور في البلطيك واحتلال جميع المواني البحرية الالمانية

هذه خلاصة شروط المتاركة — وفي الحـادي والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) سلم الاسطول الالماني للانكليز — وفي الخامس والعشرين منه سلم بقايا الجيش الالماني في شرق افريقيا . وفي الثامن من كانون الاول دخل الجنود الانكليز مدينة كولونيا الالمانية

اما الاسطول الالماني فكان قد امره الامبراطور غليوم قبل توقيع الهدنة بالخروج من ترعة كيال لمواقعة الاسطول الانكليزي فيكون اذ ذاك تسليمه بشرف عسكري ولكن البحارة الالمـان تمردوا على الامر الامبراطوري وابوا مواقعة الاساطيل الانكليزية بدعوى ان لا فائدة من ذلك

اما يوم تسليم الاسطول الالماني فكان عظيماً . فانه عند خروجه من ترعة كيال كان بانتظاره نحو اربعمئة دارعة انكليزية مع عدد من دوارع

الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا مع خمس مئة طيّارة حائمة في الجو . ولا يخفى ان احضار هـذه القوة البحرية الجوية الهائلة عند تسليم الاسطول الالماني دل على ان هول المانيا الحربي ظل في قلوب اعدائهـا الى ما بعد انكسارها

استولى الحلفاء على اسطول المانيا واقتادوه الى الموانىء الانكليزية وارتاح بال انكلترا سيدة البحار من منـاظرته التي ازعجتها عدة سنين

الدول التي تألبت على المانيا

اما الدول التي تألبت في هذه الحرب على المانيـا وحليفاتها الثلاث فعديدة واليك اسماءها :

(انكلترا ومستعمراتها وفرنسا وروسيا وبلجكا والجبـل الاسود واليابان وايطاليا والبرتوغال ورومانيا واميركا (الولايات المتحدة) والصين والبرازيل واليونان ومملكة الحجاز وكوبا وغواتيمالا وهندوراس وليبيريا ونيكارغوى وبناما وسيام) هذا عدا عن الدول التي اكتفت بقطع علاقاتها السياسية مثـل بوليفيا واكوادور وبيرو وارغواي

مدة الحرب وعدد الجنود فيها

استمرت هذه الحرب الكونية اربع سنوات واربعة اشهر اشتبك في ميادينها المتعددة بين الاربعين والخمسين مليوناً من الجنود النظامية . – فالدول الوسطى (المانيا وحلفاؤها) جندت نحو الثلث . وخصماؤهم جندوا حوالي الثلثين . — قدرت جنود المانيا التي انزلتها الى ميادين القتال بنحو تسعة ملايين واوستريا بنحو سبعة ملايين . وانكلترا التي لم يكن لديها في بداءة الحرب سوى حفنةٍ من الجنود لا تذكر بالنسبة

الى غيرها من الدول العظمى استطاعت ان تجند من جزرها ومستعمراتها بين السبعة والثمانية ملايين . وفرنسا وروسيا وايطاليا والولايات المتحدة وبقية الانصار جندوا ما يقرب من خمسة وعشرين مليوناً

اسلحة هذه الحرب

اما الالات الجهنمية التي قاتل بها المتمدنون بعضهم بعضاً في هذه الحرب العالميّة فما لم يسبق لها مثيل في التاريخ من حيث شدة الفتك والتدمير . فمنها المدافع الجبّارة وقنابلها المتفجرة . والطيارات وقذائفها المهلكة . والغواصات وضرباتها المخيفة التي كانت تطلقها تحت الماء فتبقر بها بطون السفن في عرض البحار

وهنالك الغازات الخنّاقة وغيرها من السموم التي كانوا يطلقونها بعضهم على بعض دون شفقة ولا رحمة

وقد قتل في هذا العراك ملايين من زهرة الشبان وشوّهت اجسام ملايين وفتكت المجاعة والامراض بملايين هذا عدا عن انحطاط الآداب وتسفل الاخلاق الذي نتج عن هذه الحرب الماديّة

اسباب الحرب الاساسية

ذكرنا في اول هذا المؤلف الاسباب المباشرة لهذه الحرب العظمى . والان نورد الاسباب الجوهرية التي دعت الى هذا العراك العام . ان هذه الاسباب متعددة ولكن اهمها هو التنازع على السيادة العالمية بين العنصر الجرماني والعنصر الانكلوسكسوني . فان المانيا بلغت من الحول برّاً وبحراً ما جعل انكلترا سيدة البحار تخشى بأسها ولا سيما عندما رأتها امتلكت لب الاتراك ونالت منهم امتياز مد خط بغداد الذي يمكنها من

الاستيلاء على منابع البترول في العراق والعجم والاشراف على ابواب الهند فاوجست انكلترا خيفةً واخذت تدبر التدابير لتذليل مناظرتها ففازت بالمرغوب نعم ان هنالك اسباباً غير ما ذكرنا كمشكلة الالزاس واللورين (المقاطعتين اللتين اغتصبتهما المانيا من فرنسا سنة ١٨٧٠) . وكمشكلة مضائق الاستانة التي كانت تحلم روسيا بالاستيلاء عليها من قديم الزمان . واميال ايطاليا لاسترجاع املاكها القديمة من النمسا اذا انتصر الحلفاء . واميال تركيا لاسترجاع ما فقدته فيما لو انتصرت الدول الوسطى . كل هذه الامور وغيرها اسباب ذات اهميَّة للحرب ولكنها ثانوية بالنسبة الى السبب الاول اي التنازع على السيادة العالمية بين العنصرين الجرماني والانكلوسكسوني .

والذي مكَّن انكلترا من الفوز هو انها استطاعت ان تستجلب الى ناحيتها انصاراً اقوى من الانصار الذين سندوا المانيا فكان البحر امام الحلفاء مفتوحاً يستعينون بمصنوعات اميركا واموالها . ومع ذلك لم تكن نتيجة الحرب المضمونة لهم لان المانيا مع حصرها بحراً ظلَّت شديدة الحول والطول فالجأَت الروس الى صلح منفرد وشرعت تهاجم الانكليز والفرنساويين والتليان في ساحاتهم البريَّة فتقهقرت جيوشهم امام قواتها فخافوا الفشل فاستنجدوا بولايات اميركا المتحدة طالبين نزولها معهم الى ميدان القتال ليس فقط بالمعدات والمال بل بالرجال فلبت طلبهم خدمة لمصلحتها لانها علمت انهم اذا غُلبوا على امرهم خسرت ديونها عليهم فسيرت جيشاً كبيراً الى اوروبا تخفره الاساطيل الانكليزية خوفاً عليه من فتكات الغواصات الالمانية التي كانت تهاجم النقالات

المتاركة

وخلاصة الحوادث بين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٨

عندما أعلنت المتاركة توقف رجال الحرب عن الكفاح بالسيف والمدفع ونزل إلى الميدان رجال السياسة واخذوا يرهفون مواضي عقولهم لحل المشاكل التي تلت الحرب . وها قد مرّ نحو عشر سنوات ولم تزل قضايا كثيرة بين الامم والشعوب غير محلولة

ان الحرب كان القول الفصل فيها للجيوش الجرارة والمعدات الحربيّة واما المشاكل التي بقيت بعد ان وضعت الحرب اوزارها فهذه يتوقف حلها على دهاء الساسة الذين يستخدمون الصبر والزمان لنيل مآربهم

على انه مع وجود المتاركة لم تخلُ الدنيا من مواقع حربية محليّة كالعراك الذي جرى بين اليونان والاتراك . والثورات التي احتدمت نارها في مصر والعراق وسوريه والحوادث التي قامت بين مملكتي نجد والحجاز وغير ذلك من الانقلابات التي حدثت في تركيا وبلاد فارس . ومن الاضطرابات في روسيا والهند والصين . غير ان الناس حسبوا هذه الامور ليست شيئاً يذكر بالنسبة إلى حوادث الحرب العظمى

ثل العروش وسقوط الاسر المالكة

وكأنك بالبشرية قد خرجت من الحرب الكونية ناقمة على ارباب التيجان مكبرّة على الاسر المالكة فقوّض البلاشفة كما المعنا أسرة آل رومانوف التي مرّ عليها اكثر من ثلاثمئة سنة حاكمة في بلاد الروس

وفتكوا قبل انتهاء الحرب بالامبراطور نقولا الثاني وعائلته فتكاً مخيفاً — وأُسقطت بُعَيد الحرب أُسرة هوهنزلرن الجرمانيـة التي يرجع تاريخها إلى نحو مئتي سنة وثل عرش غليوم الثاني امبراطور المانيا فالتجأ إلى هولندا — وقضيَ على أُسرة هبسبرج النمساوية التي تجاوز حكمها الخمس مئة سنة — ثم نفيت أُسرة آل عثمان التركية التي حكمت حوالي ست مئة سنة

فسقطت العروش وتدحرجت التيجان وشاهدنا بام العين السلالات المالكة مطرودةً متروكةً تحتاج إلى من يعولها ويحميها فسبحان صاحب الجبروت الذي يغير ولا يتغير

﴿ مواقف الشعوب والبلدان في عشر سنوات بعد الهدنة ﴾

موقف سوريّه

سوريّا جغرافياً تمتد من حلب إلى عريش مصر ومن البحر المتوسط الى بادية الشام فيدخل ضمنها فلسطين (غربي الاردن وشرقيــه) وبلاد حلب والشام ولبنان . فلما دارت الدائرة على المانيا وحلفائها انهزم الاتراك من سوريا فطاردتهم جيوش الحلفاء بقيـادة الجنرال اللنبي الى ما وراء كيليكيا وكان الفرنساويون والانكليز قد اقتسموا سوريا قبل انتهاء الحرب بمعاهدة (سكس بيكو) التي جعلت القسم الجنوبي اي فلسطين تحت مشارفة انكلترا والقسم الشمالي منها اي لبنان وحلب والشام تحت مشارفة فرنسا التي دخل في عهدتها ايضاً كيلكيا

اما السوريون فأخذوا في البدء بدهشة الاحتلال والجيوش التي كانت تتوارد بمعداتها الحربية الى بلادهم وتنفق الاموال الطائلة فضرب الامن اطنابه في سوريا وراجت التجارة وانتعشت الصناعة وتواردت الحوالات

الماليـة من بلاد المهجر وزادت المكاسب ونسي الناس شدائد الحرب وويلاتها واخذوا ينفقون الاموال جزافاً كأن السماء قد فتحت طاقاتها واغدقت عليهم خيراتها ٠

ولعلَّ هذا الرخاء كان من الاسباب التي دفعت السوريين إلى الاشتغال بالسياسة فتعددت الاحزاب واختلفت المطالب ولا سيما قبل ان يعين مستقبل البـلاد نهائياً واليك بعض الاحزاب التي تألفت في سوريا ولبنان

(١) حزب الاستقلال التام
(٢) حزب الاستقلال بمعاونة فرنسا
(٣) حزب الاستقلال بمعاونة انكلترا
(٤) حزب الاستقلال بحماية اميركا
(٥) حزب الاستعمار الفرنساوي
(٦) حزب الاستقلال بامارة سوري
(٧) حزب الاستقلال بطلب امير اجنبي
(٨) حزب جمهوري

هذا ما خطر على بالنا من اسماء الاحزاب التي تألفت يومئذٍ في الوطن والمهجر ووزعت بياناتها المتضاربة على السكان فزاد التنافر بينهم وكثرت المشاكل على انواعها

فيصل وسوريا

ومن الذين لمعوا في السياسة السوريَّه العربيـة الامير فيصل ابن الحسين ٠ فانه ذهب بعيد الاحتلال إلى باريس ليمثل العرب في موتمر

فرساي وقد كان مطلبه الوحدة العربية

على ان الامير فيصلاً رجع الى سوريا وفي نفسه آمال كبيرة من حيث الاستقلال الناجز التام فبلغ شاطئ بيروت في ٣٠ نيسان سنة ١٩١٩ فاستقبل استقبالاً ملوكياً نظمته له قيادة الجيوش الانكليزية والفرنساوية المحتلة . ثم ذهب الى الشام واخذ يضرم في الصدور نار الغيرة موجهاً الافكار الى المطالبة بالحرية والاكتفاء من الاجانب باختصاصيين تستخدمهم الامة في مصالحها برتبات معينة

غير ان المناداة بالوحدة العربية جعلت المسيحيين ولا سيا اللبنانيين منهم يوجسون خيفةً فخافوا من اندغام الجبل في الداخلية وضياع حقوق الاقلية وبناء عليه توجه غبطة البطريرك المارونى الى ايطاليا ففرنسا لتثبيت استقلال لبنان وتوسيع حدوده تحت مشارفة دولة فرنسا

اللجنة الاميركية

وفي تموز سنة ١٩١٩ حضرت الى سوريا لجنة يرأسها المستر كراين الاميركي واخذت تستفتي السكان عن مصيرهم بواسطة رؤساء الدين واللجان . فاحدثت هذه اللجنة ضجّةً في البلاد وزادت في طنبور الاختلافات نغمات على نغمات . ثم ظهر ان لجنة كراين لم تكن مرسلة من قبل جمعية الامم بل من قبل الرئيس ولسن وحده ولذلك لم يعمل بمعلوماتها وتقاريرها فكأنها حضرت لمجرد ازعاج البلاد دون جدوى .

ثم اعلنت جمعية الامم ان فرنسا هي الدولة المنتدبة من قبلها على لبنان وسوريا الشمالية وان انكلترا هي الدولة المنتدبة على فلسطين وشرقي الاردن ثم أعلن اتفاق بين حكومتي فرنسا وانكلترا مآله : ان الثانيـة تتكفل

باخراج عساكرها من سوريا في تشرين الثاني سنة ١٩١٩ بشرط ان عساكر الاولى لا تدخل المدن الاربع (دمشق وحمص وحماه وحلب) لان بريطانيا العظمى قد عاهدت العرب على تأليف حكومة عربية

اما الامير فيصل فلم ترق في عينه النتيجة فعاد الى اوربا وقصد اولاً لندن مطالباً بتأسيس دولة عربية مستقلة تضم العراق وسوريا وفلسطين فلم يفلح فامَّ باريس وبعد المداولات رضيت حكومتها بان يكون الامير حاكماً على سوريا وان يكون لفرنسا حق مساعـدته بذلك وان توسع حدود لبنان بان يضم اليه صيدا ومرجعيون والبقاع وبعلبك وطرابلس وعكار فلما رجع الامـير من باريس خاف الاستقلاليون المتطرفون من انه سلم للفرنساويين بمطالبهم فاخذ روح التذمر يمتد

تتويج الامير فيصل ملكاً

وكانت الجمعية السورية في دمشق مؤلفـة من سوريين ولبنانيين وعراقيين كثر بينهم الخطباء والزعماء . وفي العشرين من شهر شباط سنة ١٩٢٠ نادوا بفيصل ملكاً على سوريا وبايعه الرؤساء الروحيون واعترف به عدد من دول اوربا . والف بمساعدة المؤتمر السوري حكومة جديدة وشرعوا في التجنيد الاجباري واعلنوا استقلال سوريا والعراق

وبلغ الجنرال غورو ان بعض اعضاء مجلس الادارة في لبنان يريدون التفاهم مع جلالة الملك فيصل بشأن الوحدة السورية وبينما كانوا قاصدين دمشق اوقفتهم الحكومة اللبنانية وارجعتهم مخفورين الى بيروت ثم نفتهم الى جزيرة ارواد ومنها الى جزيرة كورسيكه

اما حكومة فرنسا فلم تكن راضية عن تتويج فيصل ملكاً والذي

زادها استياء ان حكومة سوريا بعد اعلان استقلالها حاولت ان تمنع الفرنساويين من استخدام السكة الحديدية بين رياق وحلب ومنعت التعامل بالورق السوري الذي اجازته فرنسا في لبنان . وكانت قد حدثت قبيل ذلك اضطرابات في مرجعيون قام فيها بعض العرب المسلمون ضد المسيحيين فنهبوهم واحرقوا منازلهم بدعوى انهم موالون لفرنسا .

هذه الحوادث وامثالها زادت الجنرال غورو غيظاً فاقنع دولته بوضع حد لها . وعليه ارسل في الخامس عشر من تموز سنة ١٩٢٠ بلاغاً نهائياً الى حكومة الشام يطلب فيه

« (١) حق التصرف بسكة الحديد بين رياق وحلب

(٢) الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية

(٣) قبول الانتداب الافرنسي

(٤) التداول بالعملة السورية

(٥) معاقبة المجرمين الذين تثبت عليهم اكثر من غيرهم مناجزة العداء للجنود الافرنسية [1] »

وقد ضرب للمجاوبة على هذا البلاغ مهلة اربعة ايام . وهنا وقع الاختلاف في حكومة الشام فالملك فيصل وبعض مستشاريه رأوا التسليم بمطالب الجنرال غورو اولى . واما يوسف بك العظمه وزير الحربية واعوانه فرأوا المحاربة وعدم التسليم افضل . فأدى الخلاف في الرأي بينهما الى انّ الملك امر بتسريح الجيش العربي وناظر الحربية امر بمقاومة الجيش الفرنساوي الزاحف على الشام . وحدثت فتنةٌ في عاصمة الامويين وتقدم

(١) هذه البنود من كتاب ملوك العرب الجزء الثاني « للاستاذ الريحاني »

الجيش الفرنساوي نحو دمشق وكان عدده نحو ستة الاف مستعداً تمام الاستعداد بطياراته ودباباته فالتقاه عدد قليل من الجيش العربي المنظم يتبعه عدد كبير من الاهالي والعربان المتحمسين وجرت المعركة في الخامس والعشرين من تموز بوادي ميسلون فدارت فيها الدائرة على الجيش العربي وقتل يوسف بك العظمه ناظر الحربية وسقط عدد من الجنود الافرنسية والعربية وها قبورهم لا تزال قائمة الى الان في وادي ميسلون

وثاني يوم المعركة دخلت الجنود الافرنسية الى الشام وكان قد غادرها الملك فيصل الى شرقي الاردن

وبعد ان بسط الفرنساويون نفوذهم في الشام نصبوا حقي بك العظم حاكماً على سوريا وجرت انتخابات المجلس النيابي السوري واعلن الجنرال غورو استقلال لبنان الكبير ثم تلت هذه الامور عدة اضطرابات في البلاد ومنها فتنة الشيخ صالح في بلاد العلويين وحركات العصابات في بعلبك ولبنان ومقتل فؤاد بك جنبلاط قائمقام الشوف والفتك بالمكارين المسيحيين عند عين اللجه فوق ارز الباروك وذبح العائلة الاسرائيلية في بحمدون ومقتل الديريين على طريق الدامور وغير ذلك من الحوادث التي اوقعت الرعب في صدور العقلاء من دروز ومسلمين ومسيحيين لان طريقة الاعتداء كانت فظيعة فيقتل الابرياء من الفئتين بدل المذنبين تشفياً وانتقاماً طائفياً

فاستدعت حكومة فرنسا المفوض السامي الى باريز وارسلت مكانه الجنرال ويغان واستبدل ترابو حاكم لبنان بفاندنبرغ واشتدت السلطة في مطاردة المقاقين والقي القبض على عدد منهم فنفذ فيهم حكم الاعدام

شنقاً ورمياً بالرصاص فاستولى الوجل على الناس عموماً واستتبّ الامن في البلاد على اثر هذه العقابات الصارمة

ولم تمض مدة طويلة حتى سقطت الوزارة الفرنساوية وتبوأ سدة الحكم حزب الاحرار فأستدعي ويغان الى باريز وأرسل مكانه الجنرال ساراي مفوضاً سامياً . وحالما حلت ركابه في مدينة بيروت كف يد الجنرال فاندنبرغ حاكم لبنان الكبير وطلب من المجلس النيابي ان ينتخب حاكماً وطنياً فاخذ المجلس يتردد في الامر فاستاء الجنرال ساراي من تردد المجلس فامر بحله حالاً وعين المسيو كايلا حاكماً على لبنان الكبير .

وأستبدل حقي بك العظم حاكم سوريا بصبحي بك بركات ثم وقع اختلاف في جبل الدروز كانت اسبابه المباشرة الاختلاف من اجل الحاكم كاربيه فالبعض ارادوا ان يستبدل بآخر فرفض الجنرال ساراي طلبهم فأعلنت الثورة في جبل الدروز صيف سنة ١٩٢٥ بقيادة سلطان باشا الاطرش فسيرت السلطة الفرنساوية حملة الجنرال ميشو لتأديبهم فصمدوا لها وكسروها وغنموا معداتها الحربية فاكسبهم انتصارهم على الجيش الفرنساوي قوة معنويّة وامتدت الثورة الى غوطة الشام ومدينة حماه وتغلغل الثوار في دمشق فامر الجنرال ساراي باطلاق المدافع على بعض احياء المدينة فتدمرت عدة بنايات ذات شأن ونفت السلطة عدداً من وجوه دمشق لاعتقادها انهم ينشطون الثوار وهرب الوف من الشام ملتجئين الى لبنان وبيروت .

واضطربت بلاد بعلبك وكثرت العصابات في جبال الضنيَّة واكروم وزحف الثوار على وادي التيم واحرقوا كوكبا ونهبوا جديدة مرجعيون

وكانت الحكومة الفرنساوية قد استدعت الجنرال ساراي الى باريز وارسلت مكانه المسيو دي جوفنل مفوضاً سامياً فاخذ يفاوض انصار الثورة بالصلح فلم يفلح فرأى ان لا بدَّ له من طلب نجدات عسكرية

وظلَّت قوَّة الثوار تشدد الحصار اياماً عديدة على الحامية الفرنساوية في قلعة راشيا وقد اظهر الدروز في مهاجمة ذلك الحصن بسالة واستقتالاً شهد لهم به العدو . وبينما كانت الحامية على وشك التسليم اذ حامت طيارة فرنساوية فوق القلعة ورمت ورقة فسقطت خارج السور فالتقطتها امرأة مسيحية وركضت نحو الحصن فامطرها الثوار وابلاً من الرصاص فلم تصب باذى فدلى لها المحصورون سلماً صعدت به اليهم وسلمت قائدهم الورقة فاذا بها ان النجدة ستصل اليهم بعد بضع ساعات فتشدَّدت عزائمهم ثم وصلت النجدة وانقذتهم

وانجلى العراك في وادي التيم ومرجعيون عن قتل عدة آلاف من الفريقين . من العساكر الفرنساوية ومن الوطنية وتدمرت مدينة راشيا بتمامها وخرب قسم من حاصبيا وجديدة مرجعيون هذا عدا عن النهب الذي حدث وتشتيت الكثيرين

ثم رأى المسيو دي جوفنل ان يستبدل حاكم سوريا صبحي بك بركات بسمو الداماد احمد نامي بك . وان يجعل للبنان دستورًا ومجلس نواب وشيوخ وتم الامر ان تكون حكومة لبنان جمهورية فانتخب المسيو شارل دباس رئيساً للجمهورية اللبنانية سنة ١٩٢٦ وكانت الجنود الفرنساوية من سنغاليين ومراكشيين وجزائريين قد تكاثرت في البلاد واخذت قوات الثوار في جبل الدروز وغوطة الشام وجبل القلمون

وبعلبك وا كروم وحمص وحماه تتضاءل والتجأ عدد الى شرقي الاردن

ثم ارسلت الحكومة الفرنساوية المسيو بونسو مفوضاً سامياً الى سوريا بدلاً من المسيو دي جوفنل فاتخذ شعاراً له (اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) وها قد مرَّ عليه مدة طويلة وهو ملازم الصمت قلَّما يفوه بخطبةٍ او يميل الى مظهرٍ خارجيٍّ فهدأت البلاد وضرب الامن اطنابه في لبنان والشام وحوران

وفي اوائل سنة ١٩٢٨ استقال سمو الداماد احمد نامي بك من رئاسة الحكومة السورية بعد خدمة سنتين واستقال وزراؤُهُ معه وعين سماحة الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للوزارة السورية فشكل وزارة موقتة ريثما تنتخب جمعية تأسيسيَّة لوضع دستور وانتخاب نواب وهؤلاء ينتخبون حاكماً للبلاد . وقد أعلن العفو عن المبعدين الا عدداً قليلاً منهم — هذا كان موقف سوريا ولبنان السياسي عند كتابة هذه الاسطر في اذار سنة ١٩٢٨ . اما الموقف الاقتصادي فالشكوي عمومية من كثرة الموظفين وزيادة الضرائب وغلاء الاسعار وفك البيوع ووفاء ديون الذهب القديمة بقراطيس سورية وغير ذلك من المشاكل التي تحتاج الى زمان

فلسطين ولمحة من حوادثها بعد الاحتلال

ذكرنا سابقاً ان فلسطين تحسب جغرافياً قسماً من سوريا ولكن التقسيمات السياسية فصلتها بعد الاحتلال فكانت شمالي سوريا تحت الانتداب الافرنسي ووقعت جنوبي سوريا اي (فلسطين) تحت الانتداب الانكليزي وجعل الحد الفاصل بينهما نقَّار عكا — وقد قسمت فلسطين قسمين . شرقي الاردن وغربي الاردن . اما القسم الاول فاقامت عليه

بريطانيا حاكماً عربياً وهو الامير عبدالله بن الحسين . واما غربي الاردن فحكمته مباشرةً .

ولم تخلُ فلسطين بعد الاحتلال من المتاعب والمشاكل فانه حدث في امارة شرقي الاردن بعض الفتن والانقلابات الداخليَّة هـذا عدا عن مهاجمات الوهابيين للاردنيين ولا سيما بعد ان استولى على الحجاز سلطان نجد ابن السعود . الا ان غربي الاردن تكاد تكون مشكلته واحدة وهي قائمة على وعد بلفور للصهيونيين بجعل فلسطين وطناً قومياً لهم . وهـذا الوعد دفع الصهيونيين الى الزحف من اوروبا الى الاراضي المقدسة فثار ثائر الوطنيين من مسلمين ومسيحيين لمقاومة هذا التيار بتأليف الجمعيات وجمع المال ورفع الاحتجاجات — ويظهر انه بعد مرور عشر سنوات على الاحتلال بدأ تحمس الوطنيين يتضاءل لانهم رأوا الصهونيين يتأخرون مادياً — ومن اهم الحوادث الطبيعيَّة التي انتابت فلسطين صيف سنة ١٩٢٧ هي الزلازل التي اودت بحياة كثيرين ودمرت ابنية عديدة في عدة مدن

العراق ولمحة من حوادثها بعد الاحتلال

احتل الانكليز العراق قبل احتلال سوريا فاستقبلهم العراقيون مبتهجين لانهم حسبوهم منقذين بلادهم من النير التركي غير انه لما زالت دهشة الاحتلال شعر العراقيون انهم انتقلوا من نير الى نير اثقل فرأوا الضرائب تتزايد وتضغط على الاعناق فتحركوا للثورة صيف سنة ١٩٢٠ طالبين طرد الانكليز من بلادهم واعلان الاستقلال وامتدت الفتنة في طول البلاد وعرضها

والعراقيون ولا سيما رجال العشائر اشداء فشعر العمال الانكليز بحراجة الموقف وطلبوا النجدات فجندت انكلترا نحو سبعين الفاً لمقاومة الثائرين وبذلت مالاً جزيلًا وظلّت نحـو سبعة اشهر حتى تمكنت من خضد شوكة الفتنة

وكانت النتيجة ان العراقيين نالوا مجلساً نيابياً – وقد كان من اعماله العفو عن بعض المنفيين الذين اشتركوا في الثورة وتنظيم حكومة مدنيّة يديرها موظفون تحل محل الحكومة العسكرية التي كان يديرها الوكلاء السياسيون الانكليز . ومع كل ذلك فالعراقيون لا يزالون غير راضين بما حصلوا عليه فتراهم ابداً يطالبون الانكليز بامتيازات جديدة وقد حدثت لهم بعض المتاعب من جيرانهم الشماليين الأتراك ومن العرب النجديين وهم يستخدمون حكمة رجالهم في حل مشاكلهم .

مصر ولمحة من حوادثها بعد الحرب

كانت مصر في زمن الحرب العالميّة مركزًا للجيوش الانكليزية تؤمّها من الشرق والغرب فعظمت فيها حركة الاعمال ولما وضعت الحرب اوزارها هبّ سنة ١٩١٩ المصريون يطالبون برفع حماية انكلترا عنهم فرفضت طلبهم فاجروا مظاهرات سلميّة عظيمة وقامت لجنةٌ منهم تطالب بحقوقهم . ومن الذين لمعوا في هـذه الاحوال سعد باشا زغلول فانه اظهر جرأةً واقتدارًا في المدافعة عن بلاده وبعد ان نفي مع رفاقه اكثر من مرة عادت انكلترا واذعنت لمطالب المصريين من حيث استقلالهم استقلالاً ادارياً داخلياً . على ان هـذا الفوز تعكّر صفوه باغتيال سردار جيش

السودان في مصر فأرغمت الحكومة المصرية على دفع نصف مليون جنيه انكليزي واستقلت انكلترا بالسودان ولا نعلم ما ستلده الايام

تركيا ولمحة من حوادثها بعد الهدنة

كانت خسائر تركيا في هذه الحرب عظيمة منها انها فقدت العراق وسوريا وفلسطين والحجاز واليمن وحرمت الجزية التي تأخذها من مصر وقبرص وحصرت في الاناضول ومنعها الحلفاء من تحصين مضائق الاستانة ولم يرتض اعداؤها بكل ما قلّموه من اظافرها حتى اثاروا عليها دولة اليونان فحدثتها نفسها بمهاجمة الاستانة وبينما كانت تستعد لذلك نهض مصطفى كمال باشا والف جيشاً تركياً ونفخ فيه روح الاستماتة في المدافعة عن بلاده فضرب الجيش اليوناني ضربة عظيمة وانقذ بلاده اسقط الامتيازات الاجنبية وطرد اسرة بني عثمان ورفض ان تكون الخلافة في بلاده

بقي امور جديرة بالذكر لا يسعها المقام كثورة الهند ونهوض غاندي وثورة الصين . وقيام موسوليني في ايطاليا على رأس الفاشيستي لمقاومة الروح البلشفيَّة — وختام الامر ان الحرب نبهت الافكار ولا سيما افكار الشرقيين الى المطالبة بالاستقلال . فعسى ان يوفق العالم الى ما به الخير والسلام

فهرس اعظم حرب في التاريخ

صفحة

حوادث الحرب ١٩١٤

حوادث الحرب ١٩١٥